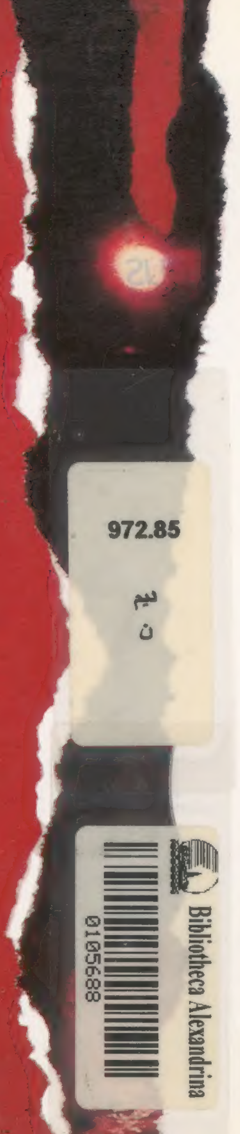
لوي ديماتيس
شريس فايل

نيكاراغوا
عقدٌ من الثورة





دار الملتقى للنشر

نيكاراغوا

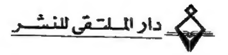
عقدٌ من الثورة

ترجمة:
مركز إعلام الوطن العربي «صاعد»
القاهرة

لوي ديماتيس
شريس فـايـل



عقدُ من الثورة



الطبعة الأولى

1994 م

الناشر:

دار الملتقى للطباعة والنشر

ليماسول ـ قبرص

ص. ب. 6527

مقدمة

جرت العادة خصوصاً في الوطن العربي والعالم الثالث أن تتولى وزارات الإعلام وما في حكمها من إدارات إصدار وتوزيع الكتب التي تُمجد وتُعظم أنظمتها لأنه جزءاً من رسالتها، وقد يكون مستغرباً وملفتاً للنظر قيام دار نشر عربية بترجمة وطباعة وتوزيع كتاب يؤرخ لثورة في أميركا الوسطى ويستعرض أحداثها وكأنما الأمر يختص برسالة ودور دار النشر هذه!!

من هذا المنطلق غير المألوف يبرز كتاب «نيكاراغوا عقدٌ من الثورة» باعتبار أن ثورة الساندنيستا ولدت بفعل القهر والظلم الاجتماعي الفادح أولاً ولأن عقد من الثورة في نيكاراغوا يُشكل إدراكاً شعبياً بقيمة المشاركة السياسية وقيمة السعي لإحداث التغيير الاجتماعي، ولكن هل تكاملت ملحمة نيكاراغوا في سعيها نحو السيادة الوطنية والديمقراطية الإقتصادية؟!

لا يوجد أدنى شك في أن الثورة في نيكاراغوا قدمت المزيد من الإحساس بالكرامة والعزة وهو ما لم تستطع اقتنائه الكونترا أو غيرها بأموالها، ولا شك أيضاً بأن ثورة الساندنيستا رفضت علاقة العمالة التي كانت قائمة بين أميركا وسيموزا واختارت تحررها القومي واستقلالها، لذا تكالبت وتآمرت عليها الولايات المتحدة الأميركية اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وإعلامياً وعسكرياً، فأميركا تُريد كل الشعوب والأنظمة خاضعة، خانعة، لا إرادة لها إلا إرادة سيد البيت الأبيض!!

كتاب «نيكاراغوا عقدٌ من الثورة» حتى وإن كُتب بأقلام أميركية فلا ريب أنه يعد شاهداً لتآمر الدولة الاميركية على ثورات عديدة وفي مقدمتها ثورة يوليو في مصر، وثورة الفاتح في ليبيا. ولعلنا نجد في هذا الكتاب نماذجَ من الأساليب التي اتبعتها ومارستها الإدارات الأميركية ضد الثورات التي ترفض هيمنتها.

الملتقى

1993

اليوم الأول

في نيكاراغوا (1980)

- 1 -

إن أفضل السُبل لفهم ما أحدثته الثورة في نيكاراغوا هو أن تتوقف قليلاً في مطار ميامي، وتتأمل هذا الصخب الذي يعكس على نحو كبير طبيعة الصراع الدائر وأبعاده، فأصحاب الملايين والطبقة المتوسطة بتناقضاتها يمثلان طرفاً أساسياً في هذا الصراع، والقبول الذي يصل إلى حد التقديس لممارسات الديكتاتورية، وتفشي الفساد وقيم الاستهلاك يكرسان هذا الصراع، إن مطار ميامي يقدم صورة مبسَّطة لما يحدث في العالم، فهنا نرى بشراً يسيطرون على مقدرات بشر، والمادة وهي تتملك الأرواح والجميع يخضع لقيم السوق ومعاييره.

وخلال جولتنا فإننا سنلمح على شاشة التلفزيون صورة ـ كارتر ـ بأسنانه البيضاء وابتسامته الواثقة، يعلن أنه يقف في وجه تسلط ريغان، ويؤكد: «إننا هنا... أقوى سلطة على الأرض».

- 2 -

إن الطريق من مطار (سيزار) إلى المدينة بالغ الروعة، حتى انني لم أر في حياتي طريقاً مثله ويبدو أنه ينتمي إلى عهد الديكتاتور ـ سموزا ..

يقول (ليساندرو شافير ألفارو):

«فعلاً، لقد قام الديكتاتور ببيع صخور هذا الطريق للدولة.. نفس الصخور التي استخدمها الشعب في إقامة المتاريس إبان فترة الإضطرابات».

بينما نقطع الطريق، كان عدد قليل من السيارات يسير بمحاذاة الطريق تحمل لوحاتها المعدنية اسم (نيكاراغوا) بينما تخفق أعلام الساندنيستا. وتنتصب على جانب الطريق بعض اللوحات الإعلانية والإرشادية للمواطنين وبعض ملصقات الثورة، وعلى حائط المبنى الخاص بالإصلاح الزراعي لافتة تحمل كلمات ثوار الفلاحين...

«لسنا طيوراً تعيش في الجو. ولا أسماكاً تعيش في البحر.. إننا بشر والأرض عِماد حياتنا».

وفي مانغوا ـ العاصمة ـ لا تخطىء العين، الخراب الذي خلّفه الزلزال والحرب، ولا تخطىء العين كذلك قدر المعاناة التي يعانيها الشعب الذي يعيش في بيوت الإيواء الخشبية المسقوفة بالصفيح تحت وطأة شمس حارقة لا ترحم، وفقر يصل إلى حد المجاعة.

إنّ الزلزال الذي ضرب مانغوا عام 1972 يعدّ واحداً من أعنف الزلازل التي عرفتها المنطقة، فقد اهتزّت الأرض مثل ثور هائج وتحطمت المدينة بأسرها.. وتدفقت قوات (المارينز) من بنما لحماية نظام ـ سموزا ـ تماماً مثلما حدث منذ خمسة وثلاثين عاماً، وكان الديكتاتور السابق يمتلك نظرة ثاقبة في مجال الأعمال، فسرعان ما تمكن من إستغلال الكارثة لصالحه الشخصي، فأنشأ شركة لأعمال الهدم، وشركة أخرى ـ تعد أكبر شركات التعمير ـ في نيكاراغوا، وكان يوقّع عقود الأعمال مع نفسه، بل واستخدم كل المساعدات التي تدفقت على نيكاراغوا في تضخيم ثروته الشخصية.. وكان يرى في

نيكاراغوا.. ميراثه الذي ورثه عن أبيه.. ومزرعته التي يملك مقدراتها.. ويرى الولايات المتحدة قلب العالم...

«إنني أقف على يسار قلب العالم».

وطبقاً للإحصاءات الرسمية فإن الزلزال قد تسبب في مصرع 12,000 شخص وتشرد 300,000 مواطن.

وتلت هذه الكارثة.. كارثة الحرب التي كلفت نيكاراغوا أكثر مما أُحدثه الزلزال، والآن يلهو أطفال مانغوا بمخلفات الحرب، وما زال هناك مدفعٌ محطمٌ يقف على مقربة من برج الكاتدرائية بينما تشير ساعة برج الكنيسة إلى لحظة وقوع الكارثة قبيل الثانية عشرة والنصف ظهراً.

- 3 -

كان الديكتاتور السابق مهووساً بالحمّامات والمرايا، كان يمتلك ستة عشر حماماً في المسكن الذي يقطنه قبل انتقاله الى القلعة التي انشأها في ما بعد، أحد هذه الحمّامات يشغله الآن مكتب نائب وزير الثقافة بينما يشغل مكتب الوزير حمامين، يمثل شكل الصنبور على حوض الغسيل بإحداهما شكل نسر برونزي، وعلى مكتب وزير الثقافة (ارنستو كاردينال) ينتصب رأس الحصان البرونزي الخاص بالديكتاتور (سموزا).

وقبل سنوات طويلة من اشتعال البؤرة كان الشاعر قد تنبأ بأن الشعب سوف يُسقط هذا التمثال يوماً ما، وفي ساحة وزارة الثقافة التي تشغل حالياً مبنى في حديقة منزل الديكتاتور يقف شاهداً على التاريخ. فإحدى الأشجار النادرة الهائلة التي كانت تفترش ظلالها في الحديقة تم اقتلاعها على يد الثوار، وما زالت جذورها مشرعة في الهواء، منذ اللحظة التي سقط فيها الديكتاتور بوابل من الرصاص.

- 4 -

تعد القلعة التي عاش فيها سموزا أيامه الأخيرة أفضل رمز على طبيعة نظامه، حيث كان الكاراج يقع مقابل حجرة النوم، والحمّامات مجهزة بأحدث وسائل الإتصالات، وتتخلّل أروقة القلعة مرايا لا حصر لها، ومجهزة بمانعات الصوت. وجدرانها مبطنة باللباد الذي يكبت الصرخات، وأزيز الرصاص، بل وصوت المطر، وبينما كانت البلاد تحترق والحرب في أوج استعارها كان الديكتاتور يأمر بضرورة تشجيع السياحة.

- 5 -

«.. لقد أصيبت جدران المنازل بالجدري... وامتلأت بالثقوب بفعل طلقات الرصاص المجنونة..».

قيل لي هذا في العديد من مدن نيكاراغوا. حيث اشتعلت حرب الهراوات والمقاليع والحجارة والقنابل البدائية التي يتم تصنيعها في البيوت، وعلى سبيل السخرية، أعلنوا عن جائزة كبيرة لمن يعثر على جدار واحد لم يصب بطلقات الرصاص.

وفي أحد الأحياء التي دارت فيها المعارك الشرسة وهو حي (مونموبو) قامت قوات الديكتاتور بتوجيه المدفعية الثقيلة نحو صدور الآمنين. لكن المعارك استمرت. وتمثل الثوار بقول الثائر سانديانو...

«إن ألم الموت ليس أكثر من ألم لحظة قهر نعانيها.. ولا يجب أن نتعامل معه بطريقة باللغة المأساوية».

- 6 -

إن تعرض البلاد لحملات النهب المنظم والزلزال والحرب أدى إلى تردي العديد من القطاعات وخرابها، فلم يكن هناك مدارس ولا مستشفيات ولا ماء

صالح للشرب أو صرف صحي، فضلاً عن سوء الحالة الصحية وتفشي الأوبئة كالسل والملاريا وزيادة معدلات الوفاة بين الأطفال الرضّع لتصل إلى طفل من بين كل خمسة أطفال، هذا الموقف بتفاصيله الدامية جعل المهمة أكثر صعوبة أمام جبهة الساندنيستا.

يحلل الروائي (سيراغو راميرز) أحد أعضاء الحكومة الموقف بقوله:

«.. كانت مهمتنا الأولى هي التخلص من قوات الحرس الخاص بالديكتاتور السابق وتم إنجاز المهمة بنجاح ولم يبق لهذه العصبة أثر، ثم تلى هذه المهمة مهمة أخرى على مستوى كبير من الأهمية، وهي تأميم مصادر الثروة القومية والأرباح التي تتولد من هذه الثروة. ولم تكن المافيا التي تسيطر على مصادر الاقتصاد القومي بالغة الكبر، إذ يصل تعدادها إلى 25 000 يعيش معظمهم في ولاية ميامي تماماً كما كانوا يعيشون في نيكاراغوا، وقد حرصوا في فترات سابقة على اقتناء منازل في ولاية ميامي لأنهم أدركوا أن وجودهم في نيكاراغوا سينتهي يوماً ما، وآلت الأراضي الشاسعة والغابات التي يسيطر عليها سموزا وأتباعه إلى الدولة. وفقدت الشركات الأجنبية ممتلكاتها من مناجم الذهب والفضة ومعظم مدخراتها وأسس التجارة الخارجية. وهذا الموقف مثّل أساساً جيداً بخلقه **واقع اقتصادي واجتماعي جديد**».

ويضيف توماس بورغ - وزير الداخلية - وهو يضيّق عينيه كأنه يصوب إلى هدف ما:

«كانت هذه الجهود مجرد البداية.. ولم يزل أمامنا الكثير من المهام التي يجب إنجازها، نحن نعاني العديد من الإشكالات الاقتصادية، نحن نبيع القطن الخام بأثمان زهيدة لنشتري الغزل

بأثمان مرتفعة. وننفق العملة الصعبة لشراء البترول على الرغم من أننا نملك مصادر بديلة للطاقة، نحن نحتاج إلى إنشاء 200 000 منزل ايواء عاجل، وذلك على أقل تقدير. وما تمكنا من بنائه بالفعل يصل إلى 35 000 وحدة سكنية».

- 7 -

إنها إذن ثورة شابة، فمعظم القائمين عليها تحت الثلاثين عاماً. القادة، الوزراء، نواب الوزراء، بل إن حراس الأمن التابعين للساندنيستا ما زالوا صبية. لقد لاحظت أن الجنديين اللذين يقفان على باب (سيراغو رامين) صغيران ولكنهما يتمتعان بقدرٍ عالٍ من الوعي. فهما يؤكدان أن هناك أكثر من دليل على التمويل الأجنبي للفتنة في بلوفيلد. ولوحدات عديدة من متمردي الجيش.

يسأل أحد الجنديين الآخر:

- لماذا لا نعلن الحرب ضد الولايات المتحدة؟

- أنت أحمق. إن تعداد الولايات المتحدة قد يصل إلى 250 مليوناً.

- إذن ألا يمكننا إعلان الحرب عليهم؟

أجاب الآخر ضاحكاً:

- لأننا لا نمتلك الأماكن التي يمكن أن نضع فيها كل هذا العدد من الأسرى.

وأنا في زيارتي لمدينة ليون حيث ما زالت رائحة الدخان والخراب تملأ الهواء. قال لي طالب جامعي:

«أنت محظوظ جداً.. فهنا يمكنك أن تعرف الكثير عما يحدث في بلادنا».

لقد تحولت نيكاراغوا إلى دولة للشعب يتمتع فيها بحق المعرفة وحق المشاركة في صنع القرارات. ويحذر الزعيم - أورتيغا - أولئك الذين يحتفظون بحق النقد الذاتي بوصفه مبرراً لارتكاب الخطأ، بقوله إنهم سيكونون شركاء في الخطأ وسيخضعون للعقاب.

بل إن توماس بورغ وزير الداخلية أول من ندَّد بممارسات رجاله المتعسفة والجائرة.

- 8 -

وكانت الحملة المنظمة لمحو الأمية بمثابة صدمة اليقظة لمجتمع نيكاراغوا بأكمله، فقد كان أكثر من نصف المجتمع يعاني من الأمية، وفي حدود خمسة أشهر انخفض هذا المعدل إلى 13%. وقد بدأت هذه الحملة على مستوى أكثر من لغة، بل لقد امتدت إلى بعض اللهجات الهندية، وللمتحدثين بالانجليزية وهي اللغة التي يتحدثها الملونون في ساحل (كاريبي) واستخدمت الثورة كل الأساليب المتاحة في هذه الحملة.

يروي القس (أليخاندرو ريشفتز) خبراته في حملة محو الأمية التي شنتها جريدة (بارسيدا) التابعة لجبهة الساندنيستا، وهذا القس نفسه قد تعلم القراءة والكتابة في قرية منعزلة بحكم موقعها الذي تحيط به الجبال ويستمر هطول الأمطار فيها لمدة عشرة أيام متواصلة، وهي المدة التي يستغرق وصوله فيها إلى هذه القرية التي سعى إليها ليعلِّم أولادها. يصف القس - في مقالة بجريدة (بارسيدا):

> «الأطفال ذوي الوجوه الشاحبة وذوي البطون المنتفخة، والأحراش، وانتشار الحشرات، والفتيات اللاتي يعانين من مضايقات الأمراض الجلدية وبشكل خاص الجرب». ويجمل رؤيته، «فإن شعب نيكاراغوا يعيش واقعاً أليماً للغاية».

- 9 -

بدأت نيكاراغوا مهمة استعادة وحدتها القومية، منذ الوهلة الأولى، ولقد ساعدت حملة محو الأمية نيكاراغوا في اكتشاف هويتها.

وحين عاد متطوعو الحملة من الأحراش والجبال والحقول البعيدة إلى المدن كانوا قد عادوا بوعي جديد وخبرة متميّزة. لكنهم أصيبوا في أمعائهم بأمراض الطفيليات والملاريا. وتحولت جلودهم إلى مصفاة من تأثير الناموس والبراغيث والقراد.

كتب الأب (فون ريشنتز)

«يمكنني أن أفهم رعب بعض سكان المدن من الحياة في واقع القرى المرير. ولكن الذي لا أفهمه هو لماذا يخاف هؤلاء من معايشة أطفالهم لمثل هذه الظروف ولو بعد 5 أشهر على الرغم من أن 70% من شعب نيكاراغوا يعيشون في مثل هذه الظروف طوال حياتهم..»

وأضاف:

«أنه من المخجل أن المسيحية التي تدين بها الدولة لا تسعى لإيقاف هذا الظلم الذي نعاني منه منذ قرابة ما يزيد على أربعة قرون».

- 10 -

يعد ساحل (كاريبي) أو ساحل الأطلنطي الذي يقع شرقي نيكاراغوا منطقة اختراق حدودي، هذا فضلاً عن انعزاله عن باقي البلاد، ولم ينخرط أيٌّ من سكانه في أي مرحلة من مراحل الصراع الطويل ضد (سموزا). بل إن سكان أحراش هذا الساحل لا يعرفون أن هناك ديكتاتوراً بهذا الاسم يحكم البلاد.

وفي نهاية شهر أيلول/ سبتمبر حدث تمرد في بلوفيلد إحدى مناطق هذا الساحل ـ ضد المدرّسين والأطباء الكوبيين الذين يعملون في هذه المناطق

ويبلغ تعدادهم حوالى 1000 مدرس و 300 طبيب تسلم معظمهم أعمالهم في مناطق نائية.

وفي حوار تلفزيوني أجاب توماس بورغ على سؤال بهذا الصدد:

«.. هل أنتم حمقى... في بلادنا تعد المدارس ترفاً. وتتزايد معدلات وفاة الرضّع بشكل مرعب.. هل تعتقدون أنه بإمكاننا التخلّص من الأطباء والمدرّسين الكوبيين الذين أتوا إلى بلادنا ليقدموا لنا كل شيء دون مقابل».

- 11 -

لقد كانت منطقة (واسبام) التي تقع على الحدود مع هندوراس أكثر المناطق قسوة في نيكاراغوا. ويقطن هذه المنطقة الهنود «المسكتوز» Miskitos وهؤلاء الهنود يتعاملون مع باقي سكان نيكاراغوا بقدر من الخوف والرهبة نتيجة لعدم الثقة. بل إنهم يسمّون الشعب النيكاراغوي باسم (الاسبانيين). وقد توقفت حملة محو الأمية باللغة المحلية في هذه المناطق. وأدت الأمطار التي تستمر 9 أشهر متواصلة ـ كما قال ماركيز في إحدى رواياته ـ إلى انهيار اثنين وعشرين جسراً. وبالطبع، فلن يتمكن السكان من إعادة بنائها إلا بحلول الفصل الجاف القصير.

ويعاني سكان هذه المنطقة من الحرمان من التعليم فبين كل عشرة مواطنين هناك تسعة لا يعرفون القراءة والكتابة. ورغم تفشي الأمراض بمعدلات كبيرة فإن المستشفيات تعد شيئاً نادراً. ولا توجد طرق صالحة ولا حافلات أو وقود، ومعظم البيوت بدائية يتم بناؤها من أخشاب البامبو وأخشاب النخيل. وكانت المهمة الأولى للثورة في هذه المناطق توفير أبسط مستلزمات الحياة كحفر آبار للبترول وإقامة أعمدة إنارة وإشاعة قدر من الوعي الصحيّ بين سكان هذه المناطق.

يقول أرنستو كاردينال، وزير الثقافة:

«نحن نسعى لاكتشاف هويتنا التي تشكلّت عبر ثقافات عديدة.. ولكننا ما زلنا نتلمس أبعاد هذه الهوية».

ويستطرد بقوله:

«إن القائمين على حملة محو الأمية سوف يجمعون كل الأساطير والقصص الخرافية والعادات، ويجمعون الرقصات والأغاني التي تحمل سمتنا الاقليمية الخاصة».

- 12 -

قال لي (فابيو) والذي يبلغ من العمر 23 عاماً: «إنه لم يرَ ابنته التي ولدت منذ ثلاثة شهور». ولكنه يدرك أنهم هنا بوصفهم حملة لمحو الأمية ولفترة محددة، وأن سكان هذه المناطق قادرون على حلّ مشكلاتهم بأنفسهم.

وحين سألته:

– هل تغادر (واسبام) قريباً إلى بلدتك؟

لم يتحدث كثيراً. ولكنه قال باختصار...

«إن الحزم هو الأسلوب الوحيد الذي يجب أن تسير عليه الأمور».

- 13 -

هذا النقاء الثوري الذي يتّصف به (فابيو) يمثل حقيقة متأصلة وراسخة في شخصية ـ توماس بورغ ـ وزير داخلية الثورة والذي حارب قرابة العشرين عاماً متواصلة. والذي يعد أباً ـ بحكم السن وتاريخ والنضال ـ للشباب الذين قاموا بالثورة في نيكاراغوا.

وغالباً ما كان ـ كارلوس آمادوا ـ المؤسس الثاني لحركة الساندنيستا

والذي قتلته الديكتاتورية الغاشمة، يذكر بورغ بقوله:

«إنك تتحرج من النظر إلى عينيه مباشرة لكنك لا تملك إلا أن تقدِّره في غيابه، كما تقدِّره في حضوره».

ومن الغريب أن نكتشف أن توماس بورغ قارئٌ مهمٌ ومتعمقٌ لكتابات وجدان كارلوس أوفيني. وفي لقائه معه روى لي قصة غاية في الطرافة؛ إذ إنه بعد فترة قصيرة من تولِّيه منصب وزير الداخلية، كان يبحث في ملفات البوليس الضخمة عن ورقة خاصة به كان قد سجّل فيها شيئاً ما لا يمكنه تذكره. وبعد تحريات وبحث قدم له مساعدوه ورقة أخرى ليكتب عليها مضمون الورقة المفقودة. فكتب أبياتاً من الشعر كان قد كتبها لإبنته التي ولدت منذ فترة قصيرة..!!!

- 14 -

«ليس ما حدث... هو كل ما يجب أن يحدث».

هكذا كتب الكاتب الشهير جوزي كوردنل أورتيمو في الطبعة الأولى للعدد الأول من جريدة (سولينتنت) والذي أعلن فيها أن تحقيق الفردوس في نيكاراغوا رهينة بما سوف نشرع في بنائه بالفعل. بينما تتذكر جيوكندا بيلي ما قالته فتاة في التاسعة عشرة من عمرها:

«أنا الآن أحيا في بهجة حقيقية.. بدلاً من العيش في الحرب والدمار.. أنا سعيدة».

في الدفاع عن نيكاراغوا

إن ممارسات القهر والحصار المتزايد والممارسات القمعية لا تحدث بسبب انعدام الديمقراطية في نيكاراغوا، وحسب، ولكن هذه الممارسات تهدف أساساً لقمع أي محاولة لإقامة الديمقراطية، ووأد أي محاولة لتشكيل نظام بديل أكثر عدالة وإنسانية.

واستمرارية هذه الممارسات يرجع لسعينا الدائم للخروج من دائرة التبعية. والدور المحدد على لوحة الشطرنج التي تسيطر عليها القوى العظمى في العالم ولأننا يمكن أن نتحوّل إلى كيان مستقل له إرادة حرة.

ويرى القائمون على هذه الممارسة ضرورة أن نظل عاجزين عن تصدير نموذجنا التحريري الخطر والمعدي للغاية إلى الدول المجاورة. إن نموذج الاستقلال القومي والمشاركة الشعبية نموذجٌ ينبغي محاصرته وضربه، ولتحقيق ذلك فإن هناك ضرورة لعزلنا وإذلالنا. وأعداء الثورة يلزموننا بالدفاع عن أنفسنا ثم يلوموننا إذا نحن قمنا بذلك. هم يريدون نيكاراغوا ليست أكثر من متاريس شاسعة في وجه الفقراء والجياع.

وصف أحد زعماء (الكونترا) نيكاراغوا بأنها الدولة التي ليس لديها شيء. وهو محقٌ في وصفه ذلك من وجهة نظره.

فالثورة قدمت المزيد من الإحساس بالكرامة والعزّة، وخلقت الحماس. وهذه الأشياء لا يمكن أن تشتريها الكونترا بملايينها.

ورغم ذلك، فإننا نحتاج للآلات، وقطع الغيار، الأدوية، الملابس وكل ما تقوم عليه الوجبات اليومية. الأرز، الزيت، الفول.

والذي لا شك فيه أن المعوقات الاقتصادية المستمرة تفتر الهمة وتصيب بالإحباط وترفع مستوى الغضب والاحتجاج. لقد عرفت الحرب طريقها إلى مائدة الطعام، بل وإلى أدق تفاصيل الحياة اليومية لكل أُسرة.

إننا ملزمون بقائمة طويلة من الفواتير لتدبير عدد قليل من السلع الأساسية ولو من السوق السوداء.

ويتم قطع مياه الشرب يومين أسبوعياً عن مانغوا - التي تعد واحدة من أكثر مدن العالم ارتفاعاً في درجة الحرارة - وكأنه حكم علينا بالعطش في ظل هذا المناخ الذي يتّسم بالقسوة. وينقطع التيار الكهربائي بشكل متكرر. ونادراً ما تتوفر إمكانية الإتصال التليفوني، وحين يحدث ذلك فإنه يعدّ بمثابة المعجزة.

ولا يتوفر الحد الأدنى من السماد للزرع وهذا يثير قضية أخرى. وحتى في حالة توفر كميات محدودة من السماد فإن هناك نقصاً شديداً في الطائرات التي تقوم برشّه. ولو أمكن توفير قطع الغيار الخاصة بهذه الطائرات بصورة من الصور فإن الطائرات المحطّمة يمكن أن تعاود الطيران مرة أخرى.

إن من المستحيل - في ظل ظروف الحرب - حصاد القمح حتى من الأراضي القليلة التي تم تسميدها. إذ قام المهاجمون بتفجير الجسور. وقام الفلاحون المسلّحون بإشعال النار في المحاصيل. وتم تلغيم الموانىء. ونصب الكمائن في الطرق. وتدمير المدارس والمراكز الصحية وتم إحكام - الكمّاشة - بالحصار الاقتصادي والتجاري الذي قادته الولايات المتحدة. فضلاً عن الخطر المالي الذي قامت به العديد من الحكومات ومؤسسات الائتمان العالمية، والبنوك الدولية، التي كانت تفخر بتقديم المساعدات

المادية إلى أسرة سموزا في اللحظة التي كانت قوات المارينز تنصبّه وتحميه على العرش وذلك على مدار نصف قرن من الزمان.

وثمة أمر آخر أقل خطورة ولكنه يبعث على الدهشة والاستغراب وهو كمية الأخطاء التي ارتكبها الثوار أنفسهم. وكانت أخطاؤهم متعددة وحتمية وهي من نوع الأخطاء التي تواجه التحول من دولة مستعْمَرَة إلى أمة حقيقية تسعى إلى الاستقلال والتحرر، ومن الحقائق المعروفة أن بدء مسيرة التنمية في بلدان العالم الثالث يواجه بحالة من عدم الكفاءة.. ميراث عريض من الجهل ونوعٌ من التسليم بحالة العجز كقدر حتمي.

إن مهمة الخروج من هذا المأزق مهمة صعبة ولكنها ليست مستحيلة، ويوماً بعد يوم سوف تأخذ المناطق التي تخضع لسطوة الرأسمالية على عاتقها أن تولد من جديد، رغم كل العقبات التي تواجه هذا الاختيار إذ إنه بالفعل غاية في الصعوبة، لكنه ليس مستحيلاً.

الانتهاك اليومي

هل نحن على وشك التدخل في نيكاراغوا؟

كان هذا التساؤل يمثل تحذيراً بالتدخل العسكري للولايات المتحدة في نيكاراغوا، بينما لا يتجاوز رد فعل العالم مجرد الاستشارات دون أي فعل حقيقي مؤثر، وأكدت جريدة (التضامن) ان هناك إمكانية لحدوث أكثر من ذلك، وهذا بينما لم تشر البيانات الرسمية إلى حالة اللامبالاة السائدة.

نحن لا نكذب حين نقول إن نيكاراغوا لا تقف وحيدة، ولكننا نقول إن مستوى الدعم لا يتواءم مع طبيعة التحديات التي تواجهها نيكاراغوا والوعد بالتأييد في حالة حدوث الغزو، والإستنكارات واللوم ضد التهديد بالتدخل. كل هذا يعكس حالة اللامبالاة القائمة بالفعل إزاء الضحايا اليومية التي يقدمها شعب نيكاراغوا الذي يتحدث عنه العالم بوصفه شعباً جليلاً. في نفس الوقت الذي يتم فيه تجاهل محنته، وبنفس القدر من الحماس.

ليس ثمة حالة يتّضح فيها خطر احتمال الغزو أو التدخل الخارجي بل وإمكانية حدوثهما على نحو مباشر وسريع كما يحدث بالنسبة لنيكاراغوا، إن انتهاك وخرق سيادة نيكاراغوا يتم بشكل يومي. وبشكل يومي تدفع هذه الدولة ثمناً مرعباً من الدم والنار بل ويتخذ شكل التدخل الأميريكي في نيكاراغوا مظهراً وقحاً، وذلك بإقراره على المستوى الرسمي، وذلك وبتخصيص مبلغ مائة مليون دولار كمساعدة عسكرية لعصابات الكونترا المناهضة للثورة بما يمثل في النهاية صدمة مذهلة.

وأصدرت الولايات المتحدة سلسلة من التعليمات والأوامر بهدف خنق نيكاراغوا. وتم التخطيط والتمويل والإشراف على الغزو الذي تقوم به هذه العصابات بشكل معلن.

وارتبط هذا الموقف بقرار صدَّقت عليه معظم الدول الغربية بعزل نيكاراغوا عالمياً، وتمت حالة الحصار التي استنكرها القائمون على التجارة ورجال البنوك، وذلك بهدف دفع نيكاراغوا للاستسلام عن طريق تجويع وحصار شعبها.

الاستراتيجية الامبريالية

منذ أصبح واضحاً أن ثورة الساندنيستا تسعى على نحوٍ جاد لوقف تغلغل الإستعمار الرأسمالي وضع النظام الرأسمالي نصب عينيه القضاء على هذه الثورة، وإذا لم يكن ذلك متاحاً لأنه يعني ببساطة إبادة غالبية الشعب، فقد سعى النظام الرأسمالي إلى تشويه صورة هذه الثورة، على أن يكون هذا التشويه هو الطريق لإنهائها والقضاء عليها.

وبداية تشويه أي ثورة هو ألا يشعر الفرد العادي بأن الثورة تسعى لتحقيق آماله وأحلامه، والهجوم المستمر على الثورة يستدعي الدفاع عن النفس في حرب حياة أو موت، حرب أن يكون لنا وطن أو نواجه العدم. وهذا يعني ضرورة تسليح المجتمع بأكمله، بأن يمثل تصرفاً ضد مساحات الديمقراطية التعددية، والصيغ الشعبية الأخرى التي تمثل إبداعاً جماهيرياً أصيلاً. والمؤسسات العسكرية ـ طبقاً لما هو معروف ـ يصبح تأثيرها أقل إذا تعرضت للتشكيك فيها أو تعرضت للانشقاق. والنظام والالتزام الحاد ضرورة أساسية لكفاءة النظام العسكري. ولكن الإلتزام يقف في تناقض واضح مع تطور الوعي النقدي الذي يعد أمراً هاماً حتى لا تفقد الثورة مقومات تطورها.

فضلاً عن أن تركز الموازد في مجالات الأمن الداخلي والدفاع القومي قد يعطل إنشاء مشروعات هائلة تسعى الثورة لتحويلها إلى واقع في مجالات الصحة والتعليم والطاقة والاتصالات.

إن الرغبة في التدمير هو ما يربط بين الهجمة العسكرية والحصار الاقتصادي والدعاية المضادة التي تعلن على الملأ فشل الثورة وانعدام قدرتها على مواجهة المشاكل.

وتزايد السخرية من قبل المتخلين عنا يؤثر علينا بحيث لا يدع أحداً إلا وهو يشعر بالاختناق إزاء محاولة تأصيل فكره، لأن السعي إلى التغيير نوعٌ من المجازفة.

ربما كانت شعوب العالم الثالث ضحايا وشهوداً على سطوة الحكم الخارجي عليهم، وهذه الشعوب لا تعاني من هوس أنهم زعماء للعالم، بل إن قادتهم الثوريين كثيراً ما يأبون عليهم أن يعرفوا طباعهم، ويحكمونهم قهراً. ومن الواضح أن الدعاية المضادة تسعى لإظهار الحركات المعادية للاستعمار والامبريالية والداعية إلى الثورة الاجتماعية بصورة الذين يغتالون العدالة. وبأن قادة هذه الحركات يتنكرون للديمقراطية بمجرد وصولهم الى السلطة.

وتستنكر الدول الفقيرة هذا الموقف المناهض لخيارها المشروع بالخروج من أسر الديكتاتورية. ولكن ما يبعث على المزيد من الاستنكار أنهم غالباً ما يسقطوا أسرى ديكتاتورية أخرى، أو معسكر آخر. وكرر (لاي ماكين):

> «إن الشعوب حسنة النوايا، المسماة بشعوب العالم الثالث لم يفقدوا طريقهم بسبب هجمات الامبريالية المتتالية فحسب ولكن أيضاً بسبب نكث الجانب الروسي لعهوده».

هم يدفعوننا للموت والقتل

ليس هناك ما يدفع للحيرة بشأن نيكاراغوا. فهو شعب يعاني أقصى درجات الحرمان. مما يجعله يشعر بضرورة الإحتجاج. ومن ثم فقد واجهوا الرصاص من أجل الحقوق والطموحات التي سعوا لامتلاكها، ربما للمرة الأولى في تاريخهم، لقد قاتل شعب نيكاراغوا، ليس بوصفه محترف حرب، وليس سعياً للمال أو السيطرة أو السلطة، لكنه قاتل من أجل حقه المشروع في الحرية والحياة. ولأن نيكاراغوا في صراع مع القوة الكبرى في العالم فقد خصصت قرابة 40% من ميزانيتها للدفاع والشرطة. وهناك دول كثيرة ديمقراطية تنفق نفس النسبة على القوات المسلحة على الرغم من أن حدودها لا تتعرض للتهديد.. وبشكل عام فإن الوزن الشعبي للقوات المسلحة لأي دولة يتم تحديده ولا يمكن تغييره إلا من خلال العبء المُلقى على عاتق هذه القوات.

وثمة فارق هام بين القوات المسلحة وبين تسليح الشعب. يعلّق توماس بورغ على الموقف بقوله..

> «... إنهم يدفعوننا للموت أو القتل. إن صدّ الهجمات الشرسة تخلق الإحساس الجمالي بالكرامة لشعب تفرض عليه قواعد الحرب بشكل جبري».

ليس هناك دليل على الديمقراطية أكثر من تسليح الشعب، فأكثر من ثلاثمائة ألف من شعب نيكاراغوا تم تسليحهم والأقلية منهم مقابل أجرٍ

محدد بوصفهم مجندين. والأغلبية تقوم بهذا العمل دون مقابل. إن هذا الموقف يظهر أن الساندنيستا لا تخشى من تسليح الشعب. وهو الموقف الذي يعني محاولة إنهائه قدراً هائلاً من المشاكل وفقاً لما يراه أعداؤنا.

هناك قوى عديدة تلقي اللوم على نيكاراغوا بسبب ما أسمته الإضطرابات المسلحة في أمريكا الوسطى. على الرغم من أنه لا يوجد دليل واحد يثبت تورط نيكاراغوا في حرب العصابات الدائرة في السلفادور أو غواتيمالا. كما أن الحصار المفروض على الحدود البرية والبحرية والجوية والحظر المفروض على حركة السفن والطائرات والأقمار الصناعية بتقنياتها المتميزة. كل هذا يجعل من المستحيل إمكان إرسال قوات أو ذخيرة إلى دول لا توجد بينها وبين نيكاراغوا أي حدود مشتركة بل يمكن القول . وبيقين ـ إن الولايات المتحدة نفسها قد تورطت في استخدام إرهابيين من هندوراس كمرتزقة للاشتراك في عمليات الهجوم المسلح ضد نيكاراغوا. وتعدّ كوستاريكا أيضاً ملجأً لقوات الكونترا على الرغم من أن هذا الموقف لا يتلاءم مع تقاليد كوستاريكا الهادئة. فهندوراس وكوستاريكا اللتان تتهمان نيكاراغوا بالتدخل تتورطان هما أنفسهما في المساعدة في عمليات الإرهاب.

الجسد والظل

إن أي محاولة أوروبية أو أمريكية لحل مشكلة نيكاراغوا عليها أن تطرح في اللحظة نفسها تصوراً لحل مشكلة أمريكا الوسطى. وهذا يعطي انطباعاً بأن ما قامت به الساندنيستا في نيكاراغوا إنقلاباً لن يغتفر. فالثورة في نيكاراغوا تتحدى فاعليّة وصلابة قانون التوازن الكوني. بل وتدعي القوى الكبرى في العالم أنه لولا نيكاراغوا لتمتعت أمريكا الوسطى بالسلام والسعادة ولتوقفت الإضطرابات التي تؤثر على النظام السائد في العالم. سعى الجميع إلى إدخال نيكاراغوا في اختبار الديمقراطية بمواصفات محدَّدة. فالرئيس ريغان يرى أن الانتخابات التي تمت لتحديد مسؤوليات الرئاسة. فاقدة للمصداقية. ربما يأمل الرئيس ريغان أن تعود نيكاراغوا إلى نوع من الانتخابات كتلك التي نظمها الجنرال ـ فرانك روس ماكوي ـ عام 1928 حيث قامت القوات المسلحة لأمريكا الشمالية بالإشراف على عمليات التسجيل وتحديد الدوائر الانتخابية. وتم ترشيح الجنرال مديراً للمجلس الانتخابي لنيكاراغوا. وبالتالي فإن المرشح الذي تفضِّله الولايات المتحدة هو الذي سيتحقق له الانتصار.

إنه لمن المثير للضحك وللشعور بالإهانة أن يسعى الرئيس ريغان لخداعنا والتدليس علينا بينما يعرف الجميع أن المناورات والتدليس يمثّلان العرف السائد في امريكا اللاتينية.

والديكتاتوريات الشرسة تعلمت أن تضع الانتخابات الدورية ـ الشكلية ـ

تحت الحصار، وبذلك تضمن أن أعضاء البرلمان والمعارضين يقدمون ـ فقط ـ اللمسات البسيطة والضرورية التي لا تعدو أن تكون تجميلاً للصورة فقط. إن الشعب في معظم بلدان امريكا اللاتينية يدلي بصوته فقط ولكنه لا ينتخب. إذ إن السياسات الرسمية يتم تنفيذها في كل الأحوال. وهذا الموقف يعد انعكاساً لحالة انعدام الديمقراطية في الواقع الاجتماعي.

أساس الديمقراطية

يعترف الخصوم الشرفاء ـ وهم موجودون بالفعل ـ بأنه خلال سبعة أعوام سعت ثورة الساندنيستا لوضع الأسس الممكنة والمستحيلة للعدالة والسيادة. وسعت كذلك لجعل الديمقراطية شيئاً مجسداً وليس مجرد قلعة في الهواء. ودفعنا ثمناً لذلك تحمّل التسلّط ورياء وسخرية أعدائنا.

والمواجهات اليومية بين الكرامة القومية وأعداء هذه الكرامة الذين يواجهوننا بالرصاص. هذه المواجهات تعكس لنا مدى تطور وعينا الثوري. وهو ما انعكس كذلك في الحوارات الجادّة التي اشترك فيها أكثر من مائة ألف مواطن من شعب نيكاراغوا حول صياغة دستور البلاد الجديد. ذلك على الرغم من ظروف الحرب والعديد من المعوقات التنظيمية. واشترك مع جبهة الساندنيستا خمسة أحزاب سياسية أخرى.

وهذا يعني أنه لم يتم صياغة الدستور بمعزل عن الشعب إذ تم تشكيل اثنتين وسبعين لجنة على مدى القطر بأكمله ليتم من خلال هذه اللجان طرح وجهات النظر المختلفة دون اتهام بالإنحراف أو الخطأ أو الخوف أو التشكيك أو الضعف. وستركز هذه اللجان على المشاركة النسائية ومشاركة الاقليات. وبشكل خاص القادرين منهم على التفاعل والمشاركة.

والملاحظ أن النساء في طريقهن للتخلص من الشعور بالخوف من إعلان رأيهن. وفي خلال السنوات الأخيرة من ديكتاتورية سموزا كان العديد من

النساء قد وصلن إلى مستوى تنظيمي في قيادة حرب العصابات وذلك عن قدرة وجدارة حقيقيتين.

وحالياً هناك العديد من النساء في حكومة الساندنيستا يشغلن أعلى المناصب. وهن يمثلن عدداً قليلاً بالنسبة للكثيرات اللاتي تؤهلهن مواهبهن وجدارتهن لتولي هذه المناصب. وتعد نيكاراغوا واحدة من البلدان القليلة في العالم التي تترأس فيها المرأة قوات البوليس. فالسيدة (دوريس تاجيرياتو) تشغل هذا المنصب للمرة الأولى في تاريخ نيكاراغوا. هذه السيدة التي تعرضت للتعذيب والاغتصاب على يد رجال بوليس الديكتاتور. هي المرة الأولى إذن التي تشغل فيها سيدة هذا المنصب. والمرة الأولى التي لا يمارس فيها البوليس التعذيب ولا الاغتصاب.

الاستقلال القومي

إن نيكاراغوا تحارب الاستعمار. وعلى رئيس الولايات المتحدة وبابا روما اللذين يدّعيان أنهما يملكان الحق في إطلاق الإتهامات على نيكاراغوا أن يصمتا. لأن الصراع ببساطة يتجاوز شخصية كل منهما..

إن العلاقة بين الولايات المتحدة وديكتاتورية سيموزا عميقة، فالغزاة الأمريكيون هم الذين صنعوا ـ ديكتاتورية سموزا ـ خلال العشرينات والثلاثينات بل وقاموا بتثبيته على العرش من أجل ضمان استمرار الاحتلال الاستعماري، وكان ـ سموزا الأب ـ وهو الذي أسس العائلة المالكة قد تسبب في تدمير نيكاراغوا وكان يتلقى النياشين من الولايات المتحدة ويتلقى المباركة الدائمة من بابا روما. وحين توفي تم دفنه على شرف أمير الكنيسة بروما.

وما حدث ببساطة هو أن نيكاراغوا رفضت الاستمرار في تحمُّل واقع يكرّس لقهرها. واختارت تحررها القومي والدفاع عن استقلالها. وفي ضوء هذا الخيار يمكن فهم طبيعة إصرار حكومة الساندنيستا وطبيعة رد الفعل الغربي، على أكثر من مستوى.

فالحملة التي يقودها عدد من السياسيين والصحافيين في الولايات المتحدة ضد نيكاراغوا تقوم بنشر السموم القديمة التي كانت السياسة الأمريكية تنشرها في العالم إبان حياة الزعيم (سانديانو) وهم يسعون بهذا الأسلوب الرخيص إلى نشر ستار من الشائعات حول ما يصنعه شعب

نيكاراغوا والساندنيستا، للحصول على حقهم في الحياة دون إستئذان القوى العظمى.

والمعروف تاريخياً أنه حين حاول الزعيم (سيزار ساندينو) هو وجيش بسيط أن يثور ضد الاحتلال الاستعماري وصفه الإعلام الغربي والأمريكي بأنه عميل للبلشفيك. وأعلنوا أنه يتصرف طبقاً لأوامر صادرة ـ من المكسيك ـ ويعمل لخدمة الميول التوسعية للإتحاد السوفيتي في أمريكا الوسطى. وكانت المكسيك آنذاك بمثابة كوبا حالياً. ودعا الرئيس الأمريكي إلى فرض ضرائب واسعة على مشروعات البترول القائمة في نيكاراغوا. وأشار الإعلام الغربي إلى ساندينو بوصفه عميل موسكو. وتم تحميله مسؤولية كل مشكلات امريكا الوسطى في ذلك الوقت. بل واتهمت بعض الدوريات الأمريكية رئيس المكسيك بإرسال الأسلحة وتقديم المساعدات والدعم الاعلامي لنيكاراغوا من خلال الدبلوماسيين العاملين في السفارة السوفيتية.

وفي عام 1928 قامت حكومة الولايات المتحدة بتقديم تحذير رسمي مؤداه أنها لن تسمح للروس أو للمكسيك بانشاء كيان تابع للإتحاد السوفيتي في نيكاراغوا. هذا بينما كانت وكالتا «يونيتدبرس واسوشيتدبرس» تصيغان التقارير الإخبارية التي تؤكد المخاوف والإتهامات الامريكية. ـ لا شيء جديداً إذن ـ فنفس المعاهدات يضعها الآن البيت الأبيض فضلاً عن احتشاد كل وكالات الأنباء ووسائل الإعلام الغربي ضد نيكاراغوا على نحو سافر.

كل الأقنعة الزائفة لا تكفي

نيكاراغوا إحدى دول العالم الثالث وشعبها يمثل شعباً من الدرجة الثالثة وهو شعب غير جدير بالاحترام في تقدير الإعلام الغربي. ولا يجب أن يكون قدوة للشعوب الأخرى. هذه الشعوب تمتلك فقط حق أن تكون تابعاً ولا يجوز أن يكونوا صوتاً أصيلاً. ويرى المتحدثون باسم نظام القوى العالمي ضرورة تهميش غالبية الجنس البشري. وأن أي محاولات تغيير ثوري يجب أن تعزى فقط إلى ميل الاتحاد السوفيتي للتوسع.

وعبارات مثل الكرامة الوطنية والعدل الاجتماعي والتاريخ المثقل لبلد محتل وشعب مُستغَل، كل هذه تمثل ادعاءات وأوهام وأكاذيب يتبناها السذج والبلهاء. ويعمد صنّاع الرأي في الغرب إلى إرجاع كل ما يحدث في نيكاراغوا إلى الصراع بين الشرق والغرب وتفاعلات الجغرافيا السياسية التي تحكم هذا الصراع. ويتم إلقاء اللوم على موسكو التي تسعى لتغيير التوازنات التي تحكم العالم وتضمن استمرار السلام العالمي.

بينما ترى الولايات المتحدة أن (الكونترا) تمثل أبطالاً يقفون في وجه من يهددون الحضارة الغربية التي يحميها الله (ورامبو) على نحو سواء!!!

ومن ثم لا يجد الغرب ولا الولايات المتحدة حرجاً في مساعدة المرتزقة الذين يسعون إلى إعادة الاعتبار للماضي الاستعماري بل واستعادة الأسرة المالكة.

إن كل الأقنعة لا يمكن أن تخفي هذا القدر من النفاق والرياء الذي يمارسه أولئك الذين ينكرون على نيكاراغوا حقها الطبيعي في الحياة والأمن والحرية. ويستنكرون كذلك أن تسعى للحصول عليها من مصدر آخر.

فالولايات المتحدة هي الدولة التي لجأت إليها نيكاراغوا أولاً للبحث عن الائتمان التجاري ومساعدات التنمية وتوفير الاسلحة الدفاعية لكنهم أوصدوا الباب في وجهها. وتم قطع الائتمان الخاص بعمليات البحث عن البترول في فنزويلا والمكسيك. وبالتالي اعتمدت نيكاراغوا على الاتحاد السوفيتي وبلدان أخرى من حلف وارسو لتوفير احتياجاتها من البترول والغذاء والسلاح.

ولا أفهم سبب الاعتراض والاحتجاج على تقديم هذه المساعدات التي تتم بهدف استكمال عمليات الاستقلال القومي والتحرر الاقتصادي.

ولماذا يتم تفسير قبول مثل هذه المساعدات على أنه تبعية من نيكاراغوا لموسكو.

والشعب ـ بوعيه المتميّز ـ أول من اهتم بضرورة تنويع مصادر المساعدات الاقتصادية. وهم يدركون تماماً أن تركيز مصادر المساعدات يمكن أن يتضمن خطر الثمن السياسي.

إن شعب نيكاراغوا يسعى لفتح مجال التعاون على المستوى الرسمي مع كلٍّ من أوروبا الغربية وامريكا اللاتينية. وهذا الموقف لا يلقى التأييد الكافي. بل على العكس تتزايد مشاعر اللامبالاة والكراهية والأنانية إزاء رغبة نيكاراغوا في الخروج من حالة الحصار المفروضة عليها. والثورة أي ثورة عمل خلاّق لا تُسعى إلى إعادة طرح نموذج سبق طرحه. ومن ثم، فإن الساندنيستا لا تسعى إلى إعادة طرح النموذج السوفيتي أو أي نموذج آخر.

إن ثورة نيكاراغوا تسعى إلى التحرر ولا يمكننا تجاهل الدعم الكوبي الذي لولاه لما استمرت الثورة.

ما تؤكده الإحصاءات أن الدعم الكوبي امتدّ من الحاضر الى المستقبل.

يقول (سيراجو راميرز):

«إن الساندنيستا لا تسعى لخلق كوبا أخرى ولكنها تسعى لخلق نيكاراغوا مختلفة».

الشر

حين يتحدث الرئيس الأمريكي ـ ريغان ـ على شاشة التلفزيون من واشنطن يشعر المرء أن خريطة الامريكيتين تصطبغ بلون الدماء وأن نزف الدماء في نيكاراغوا يجتاح أمريكا الوسطى.

هذا بينما يتزايد الثمن المرعب الذي تدفعه نيكاراغوا. ولا يستطيع أحد إيقاف هذا النزيف، بينما يطلب ريغان مزيداً من الوقت.. ليتمكّن من أداء عمله على أفضل وجه...

وفي جريمة أخرى قام ـ الرئيس الأمريكي ـ بتلفيق سلسلة من الأحداث الدموية وادّعى أن الساندنيستا هي التي قامت بها.

وأبدت أقلية صغيرة من الرأي العام الأمريكي عدم الثقة في كلام الرئيس، إذ لم يكن هناك دليلٌ واحد على أن الساندنيستا قد تورطت في مثل هذه الممارسات. بل إن المتخصصين في المباحث الفيدرالية أنكروا مسؤولية الساندنيستا عن تدمير المعبد اليهودي في مانغوا أو إصابة أحد كبار الحاخامات في نيويورك.

هذا موقف الأقلية ولكن غالبية الشعب الأمريكي يرون أن نيكاراغوا دولة معتدية. ولا يدركون حقيقة أنها دولة مستعمرة فقيرة تسعى كي تتحول إلى دولة مستقلة. إنهم يتعاملون معها بوصفها شرًا غامضاً وخطراً يهدد حدودهم. بينما هي في الواقع بلدٌ فقير ليس فيها سوى ناطحة سحاب واحدة وعدد من

الأبنية الضخمة لا يتجاوز الخمسة وسلّم كهربائي واحد لم يعمل منذ أكثر من عام. وإن عدد سكان شعب نيكاراغوا يقل عن عدد سكان بروكلين (أحد أحياء نيويورك) وهذا بسبب الجوع والمرض.

وفي إطار حملة الأكاذيب التي يقودها ريغان ضد نيكاراغوا حدث تحوّل مفاجيء وحادّ في موقفه من الهنود الحمر الذي قتل العديد منهم في أفلامه. وحين تمّ انتخابه رئيساً للدولة اكتشف أن الهنود ما زالوا أحياءً فقرر استخدامهم كوقود لدعم نصره العسكري.

هذا بينما تقوم الساندنيستا ـ ربما للمرة الأولى في تاريخ نيكاراغوا ـ بتعليمهم القراءة والكتابة وتحسين ظروف معيشتهم. وتاريخ الهنود زاخر بالمآسي فقد كان يدفع بهم إلى الحروب ويتم المقايضة على زعمائهم بالبضائع أو بوعود الاستقلال. والمثير للأسى أن بعض الهنود تورطوا في القتال ضد أول حكومة تتعامل معهم بوصفهم شعباً له تاريخ وحضارة.

وبينما كان المتحدث الرسمي للولايات المتحدة يتهم حكومة الساندنيستا باعتقال الهنود في معسكرات جماعية ويقدم بشكل دوري مشهداً لإحدى المجازر التي تعرضوا لها ـ كانت هناك إجراءات للإفراج عن عدد كبير منهم. ولنكتشف أن المشهد الذي يتم عرضه كان لإحدى المذابح التي مارسها رجال البوليس التابعين للديكتاتور ـ سموزا ـ وتأخذ حملة الأكاذيب بُعداً آخر. إذ قامت نيكاراغوا بطرد أثنين من القساوسة لوعظها بأن أكاذيب ريغان تمثل مشيئة الرب، فقام الاعلام الغربي بتضخيم هذا الموقف مما دفع أورتيغا للتعليق على هذا الموقف بقوله:

«إن وكالات لم تقل شيئاً أو ربما قالت القليل جداً حول مقتل حوالى 138 واختطاف 286 قسيساً في امريكا اللاتينية منذ عام 1979. كما لم تقل كلمة واحدة حول الحقيقة الواضحة التي

تعلن أنه على مدار سبع سنوات لم يقتل أو يخطف قس واحد في نيكاراغوا».

وبالإشارة إلى استمرار حملة الأكاذيب التي يقودها ريغان ويتعامل معها الإعلام الغربي فإنها تعبر عن الحقيقة. يقول توماس بورغ:

«في القريب العاجل سوف يحملون نيكاراغوا مسؤولية انخفاض سعر الدولار».

وفي الحقيقة يرى المراقبون أن ريغان يحتاج إلى تجريم نيكاراغوا لكي يبرر الحرب الاقتصادية التي تخوضها الولايات المتحدة. إن الاستثمارات الخيالية في الحرب تعطي الاحساس بالنجاح. وتعطي المواطنين مزيداً من الاحساس بالقوة. بل ويرى البعض ضرورة استمرار هذا الوضع فكلٌ من ليبيا ونيكاراغوا يقدمان المبرر الحاضر لهذا الموقف. ودانيال أورتيغا ومعمر القذافي يقومان بدور الزعماء الأشرار في فيلم فيه الكثير من الأشرار الذين يصوبون الرماح والنبال ويتصايحون حول مركبة ضخمة محمّلة بالأناجيل والدولارات. ولا يمل القائمون على السياسة في الولايات المتحدة من عرض هذا الفيلم كل ليلة على ضمير العالم الغربي.

والمنطقي في ظل هذا المناخ أن يمثل التسليح مطلباً جوهرياً. حتى أن الولايات المتحدة قد سعت إلى عسكرة الفضاء فيما سمّي بحرب النجوم وذلك لمواجهة الارهاب. ولكن علينا أن نسعى وبحرص لفهم الظرف القائم خلف إدانة المحكمة الدولية لممارسات ارهاب الدولة الذي تقدم عليه الولايات المتحدة. بل وأن نفهم سر اعتياد أمريكا على القيام بهذه الممارسات الإرهابية بوصفها حقاً وقيامها بتصدير الارهاب بوصفه جزءًا من سياسة الأمن القومي الأمريكية.

النظام الاجرامي

إن من يجرؤ على أن يسمّي الأسماء بأسمائها يعرف تماماً من الذي ارتكب خطيئة الأنانية وانعدام الإحساس بالمسؤولية. إنه الطفل الذي يعرف أن الامبراطور يسير عارياً. والامبراطور هو النظام الرأسمالي العتيد الذي يقوم على نهب العالم نهباً منظماً عبر عمليات التبادل غير المتوازنة.

وعمليات الإبتزاز المالي التي مكّنت الولايات المتحدة وهي تمثل 5% فقط من عدد سكان العالم من اغتصاب وتخريب قطع كبيرة من المصادر الطبيعية لكوكب الأرض.

إن تاريخ النظام الرأسمالي هو تاريخ الوحشية وأَكَلَة لحوم البشر. إنه ببساطة نظام إجرامي. والإنجيل الذي يحب ريغان الاستشهاد به في فقرة منه ـ لم يستشهد بها ريغان قط ـ يقول شيئاً يشبه ذلك، ما معناه:

«إن الخبز للفقراء هو حياتهم. من يسلبه أياهم تكن يداه ملطختان بدمائهم».

ونيكاراغوا لا تبحث عن حائط لتختبىء خلفه ولكنها تحتاج إلى متراس للدفاع عن نفسها. إن الضحايا قد ثاروا بالفعل ضد هذا النظام، لأنه من الأفضل أن نموت في معركة خير من أن نقف مكتوفي الأيدي والكوارث تحطم حضارة وتاريخ وحياة أمتنا.

طفل ضال في العاصفة 1990

تم إزالة تمثال لينين في بوخارست. وتعرض قطع من سور برلين للبيع في شكل قطع تذكارية صغيرة. وحشد متلهف يصطف خارج مطعم ماكدونالد في موسكو. وفي وارسو وبودابست يتحدث وزراء الاقتصاد تماماً مثلما تتحدث مارجريت تاتشر. وفي بكين تواجه المدرعات الطلبة. والحزب الشيوعي الايطالي أكبر الأحزاب الشيوعية في أوروبا أعلن إفلاسه وتم قطع المعونة السوفيتية لأثيوبيا، وفجأة اكتشف الكولونيل مانغستو أن الرأسمالية خيارٌ جيد. وجبهة الساندنيستا التي تمثل الدعامة الأساسية لآخر ثورة شعبية في العالم خاضت الانتخابات بينما يرفع الآخرون شعار (انهيار الثورة في نيكاراغوا).

ويبدو أنه لن يكون هناك مكان لمزيد من الثورات إلاَّ في المتاحف الأثرية. لا مكان لليسار ـ إذن ـ إلا اليسار الذي يعلن ندمه وأسفه وسوف يمكنه البقاء ولكن على يمين رجال البنوك. ولقد تمّت دعوتنا لجنازة عالمية لليسار. وتمّت دعوة العالم بأسره لإتمام هذه الجنازة، أنا أشعر بالقلق، ولكنني لا أعتقد أن هذه الجنازة سوف تدفن جثة اليسار للأبد.

في نيكاراغوا:

إنهم يدفعون ثمن الخطايا

إن البريسترويكا وما أثارته من ميل إلى التحرر من القيود في كل مكان فجرت التغييرات بخطى غير مستقرة. وحتى الآن وبالتأكيد لم يكن هناك سبب يبرر لماذا كانت العدالة الاجتماعية موقفاً معادياً للحرية أو للكفاءة. مع التحفظ على أن الشعب يرى أن البيروقراطية تمثل قوى خارقة قامت بقهرهم وتحديد ما يجب أن يفكروا فيه وما يجب أن يمتنعوا عن التفكير فيه تحت راية ماركس.

وأن إعمال الفكر في تحديد ما هو هام وما هو أكثر أهمية يعد نوعاً من الخيانة أو البلاء...

إن الاشتراكية، والشيوعية لم يكونا سوى نوع من الخداع التاريخي؛ أنا أكتب هذا الكلام من وجهة نظر أمريكا اللاتينية.

ولكنني أقول لنفسي أيضاً إذا كان الأمر كذلك ـ أو المفروض أن يكون كذلك ـ فلماذا يجب علينا أن ندفع مقابل هذا الخداع التاريخي طالما أن وجهنا لم يكن إطلاقاً في هذه المرآة؟

إن الكرامة القومية قد خسرت معركتها في الانتخابات الحالية إذ لم يتم قهرها بالجوع والحرب ولكن بالرياح العاتية والعالمية التي لطمت اليسار بعنف لم يحدث من قبل. ومن الظلم أن ندفع نحن ثمن هذه الخطايا. ولا

يجب أن نلقي اللوم على الساندنيستا بسبب الحرب أو الجوع كما لا يجب أن نتحمل مسؤولية ما حدث في أوروبا الشرقية. هذا التناقض بين الديمقراطيين وممثلي البروليتاريا التي لم تستقر بعد ليس جديداً. إننا ندفع ثمن ما صنعه الآخرون فالحزب الشيوعي المحلي يصوت لصالح فيوليتا شامورا.

والمسؤولون عن الحرب والجوع يحتفلون الآن بنتائج الانتخابات وبعد يوم واحد من نهاية الانتخابات أعلنت الولايات المتحدة نهاية الحصار الاقتصادي ضد نيكاراغوا. وهذا ما حدث بدقة منذ سنوات طويلة. ففي الوقت نفسه الذي حدث فيه الانقلاب العسكري في شيلي وبعد يوم واحد من موت الرئيس ألليندي. ارتفع سعر النحاس في السوق العالمية. وكأن الأمر ضربٌ من السحر. في الواقع، إن الثورة التي أطاحت بديكتاتورية عائلة سموزا لم تتمهل لحظة واحدة على مدار عشر سنوات وتم التعدي عليها من قبل قوة أجنبية ومرتزقة مأجورين. وتحملنا في الوقت نفسه ضغوطاً قاسية بسبب حالة الحصار من جانب رجال البنوك والقائمين على التجارة في العالم.

وعلى الرغم من كل هذا، فإن الثورة قد سعت إلى أن تكون أكثر تحضراً ربما أكثر من الثورة الفرنسية. فلم يكن هناك إعدام على المقصلة أو إعدام بالرصاص. بل كانت الثورة أكثر تسامحاً مما كانت عليه الولايات المتحدة ذاتها، فلقد كفلت الثورة حرية التعبير للمتحدثين المحليين باسم الإستعمار الحاكم المطلق.

تمكّنت الساندنيستا من محو الأمية في نيكاراغوا. وانخفضت نسبة وفاة الأطفال الرُضَّع بنسبة كبيرة. وقامت بتوزيع الأراضي على الفلاحين ولكنها الحرب التي شوَّهت وجه البلاد. إذ دمرت الحرب ما يعادل مرة ونصفاً من الناتج القومي وهو ما يعني أنه تم تدمير نيكاراغوا مرة ونصفاً. ومَرّر قاضي

محكمة العدل الدولية إدانة الولايات المتحدة. ولكن هذا القرار لم يكن له أدنى تأثير. كما لم يكن لتقرير المنظمات المتخصصة في الأمم المتحدة في التعليم، التغذية، الصحة، أي تأثير أو إمكانية مساعدة حقيقية. بل إن هذه الجهات لم تقم بنشر هذه الآراء على نطاق واسع. والغريب أنه نادراً ما كان الغزاة يهاجمون أهدافاً عسكرية بل كانت المزارع الجماعية أهدافهم المفضّلة. تُرى كم عدد الآلاف التي قتلت أو أصيبت من أبناء شعب نيكاراغوا بسبب أوامر الحكومة الأمريكية طوال العقد السابق. على الرغم من أن العديد من سكان امريكا الشمالية زاروا نيكاراغوا وكانوا يلاقون الترحيب ولم يتعرضوا لأي أذى. واحد فقط هو الذي قتل على يد الكونترا وكان يعمل كمهندس ومهرج، وأينما تحرك كان يتبعه حشد من الأطفال الصغار، وقام بتأسيس أول مدرسة للمهرجين في نيكاراغوا، وقامت الكونترا بقتله بينما كان يقيس عمق المياه في بحيرة لبناء صهريج ماء وكان اسمه (بن لندر).

العصور الحديثة

ووجهي العملة الواحدة

كانت الولايات المتحدة تسعى بإلحاح كي تحظى الديمقراطية بالتقدير في بنما ونيكاراغوا تماماً بمستوى ما كانت تحظى به الإشتراكية في دول شرق أوروبا. والمعروف أن الولايات المتحدة قد قامت بغزو أمريكا اللاتينية مائة مرة خلال هذا القرن. ودائماً ما كان يتم هذا تحت اسم الديمقراطية. وغالباً ما كان يتم فرض ديكتاتورية عسكرية أو حكومات تابعة يتم رشوتها بالمال أو بالإبقاء عليها. النظام الإمبريالي لا يريد دولاً ديمقراطية حقيقية ولكنه يريد دولاً تابعة ذليلة.

وأخيراً فإن غزو بنما كان عملاً فاضحاً تمَّ على جثث سبعة الآف من الضحايا لكن العمل الأكثر خسة هو التغاضي عن هذا الغزو وتمريره دون جزاء مؤثر. وهو ما يعني إمكانية تكرار هذا العمل الشائن الذي مسَّ سيادة دولة. والعديد من الدول تدفع ثمن هذا الواقع المجحف في بقاع مختلفة من العالم.

وفي هذا السياق، يجب التساؤل عن معنى الصمت أو الاستنكار المهذَّب في بعض بلدان شرق أوروبا.

هل تحرر هذه المناطق من سطوة الحكم الإشتراكي يعني إعطاء الضوء الأخضر لممارسات القمع التي يمارسها الغرب؟

أنا لا أميل إلى الإتجاه الذي يستنكر ـ وبشكل مهذب ـ الممارسات الامبريالية في منطقة الكاريبي. ويميل إلى التغاضي عن الممارسات التي تمسّ سيادة بولندا، تشيكوسلوفاكيا، أو أفغانستان، إذ إننا لا يمكن أن نتعامل بمعيارين. لأن حق الحكم الذاتي يعد حقاً مقدساً في كل بقاع العالم، وفي كل الأوقات.

وبشكل عام نحن ندين كل أشكال التدخل في محاولات السيطرة سواء كان ذلك من الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة.

الكابوس يتحول إلى حقيقة

بالنسبة لنا، فإن الرأسمالية لم تكن حلماً حتى تتحول إلى حقيقة، ولكنها ببساطة كابوس تحول الى واقع. وكان التحدي الخاص بنا ليس هو خصخصة الدولة، ولكن التحدي هو نزع الملكيات الخاصة فيها. إن دولتنا قد تم شراؤها في صفقة قام بها أولئك الذين يملكون الأراضي والبنوك وكل شيء. وبالنسبة لنا، فإن اقتصاد السوق ليس أكثر من قرصان وحريته أكثر قرصنة. والأكثر سوءاً هو تغييراته العنيفة والسوق الاقليمي هو نفسه انعكاساً للسوق العالمي. والأخير يقوم بسرقتنا علانية وبكلتا يديه وبأكثر من أسلوب. فالأسلوب التجاري يلجأ إلى تحميلنا أعباء أكثر وأكثر في مقابل ما يبيعه لنا ويدفع أقل وأقل لما يشتريه منا. والأسلوب المالي يعمد إلى إقراضنا أموالاً بغرامة عالية بينما يمنحنا فوائد منخفضة. ونحن نعيش في منطقة من العالم تسود فيها الأسعار الأوروبية ومعدلات الأجور الافريقية والتصرفات الرأسمالية مثل رجل يقول ببساطة إنه «مغرم بالفقراء ويرى أنه ليس هناك الكثير منهم» وفي البرازيل على سبيل المثال يقتل النظام 1 000 طفل يومياً بسبب الأمراض والمجاعة.

وبالانتخابات أو بدون الانتخابات فإن الرأسمالية في أمريكا اللاتينية ضد الديمقراطية، فمعظم الناس أسرى الحاجة ومحكوم عليهم بالعزلة والقهر. فكلاهما قائم بالفعل ويدّعي الكثيرون أنهما جزء من الطبيعة. وهم يدّعون بانتمائها إلى النظام الطبيعي للأشياء. وحين يتطور هذا النظام الطبيعي على نحو مضطرب مشوّش فإن العسكريين يظهرون في الأفق.

خطوة.. فخطوة

أشعر كما لو أنهم سرقوا كلماتنا. فإن مصطلح الإشتراكية يتم تداوله في الغرب بوصفه الوجه الآخر لكلمة الظلم وهي تستحضر للأذهان في الغرب المطهر أو ربما الجحيم. ومصطلح (العالم الإمبريالي) خارج عن سياق مفاهيم الغرب ولم يعد موجوداً في القاموس السياسي المعاصر. وذلك على الرغم من تفشي الامبريالية بل وممارستها للنهب المنظَّم.

وماذا عن مصطلح (الكفاح المسلح). وهو ما يمثل آثاره الايجابية حقيقة واضحة؟

ولكن بالنسبة لمنظرّي الوعي الجديد والتفهم الموضوعي الغربي يمثل الكفاح المسلح أحد الآثار المرتبطة بمرحلة قديمة أصبحت مثيرة للسخرية. وبالنسبة للنادمين على اعتناقه يوماً ما فقد كان خياراً قديماً يعكس اضطراباً وتشوشاً في الوعي والإدراك.

كنا شهوداً على الانهيار المدوّي الذي تم في شهور قليلة لنظام احتكر لنفسه السيادة على المعسكر الاشتراكي. هذا النظام الذي كان يتعامل مع الشعب وكأنه طفل لا يكبر أبداً وتجرجره طوال الوقت من أذنه. الآن يجب أن نبدأ في الصعود مرة أخرى، خطوة فخطوة وبدون متاريس بل وبدون حماية من أي نظام. إن من الضروري أن نمتلك القدرة على أن نكتشف ونخلق ونتخيَّل. وفي كلمته القصيرة التي ألقاها القس (جيس) بعد هزيمته في حملته التي أسماها حق الحلم:

«دعونا ننتصر لهذا الحق.. ولا نسمح لاحد أن يسلبنا هذا الحق...».

واليوم أصبح الحلم أكثر أهمية. وأن نحلم سوياً. والأحلام ليست لذاتها وإنما تتجسد شيئاً انسانياً كما قيل وكما يتمنى شاعر آخر ما زال أصدقاؤنا يحاربون من أجل هذا الحق ويهبونه حياتهم هذه شهادتي ـ إقرار الديناصورات المنقرضة ـ ربما كانت كذلك لكنها على أي شهادة تمثل إقراراً من شخص يؤمن أن الإنسان لا تحكمه قيم الأنانية. وإن امتلاك المال يعمّق الفساد والاشتراكية لم تمت لأنها لم تكتمل بعد. وأن يوم اكتمالها هو اليوم الأول في حياة ممتدة. وأن الاشتراكية يجب أن تبقي في مانغوا يوم 20 تموز/ يوليو 1979 كان هناك مشهد لا ينسى. فتحت الشمس الإستوائية الحارقة كان الجميع يرقصون. فلاحون وطلبة وعمال مصانع ورؤساؤهم في بهجة عارمة وتعلوا ضحكاتهم ويسمع تصايحهم من بعيد. كان الاحتفال بمناسبة انتهاء الحكم الديكتاتوري بعد قرابة من خمسة وأربعين عاماً.

قال أحدهم: «إن البشر الذين تربطهم الوحدة لا يمكن أن يهزموا..» ومنذ شهور قليلة كان (اناستاسيوا سموزا) ووزير خارجيته الرهيب (جارديا) يسيطران على نيكاراغوا بأساليب الإرهاب، والقليل جداً من الشعب الذي كان يرى أنه بمنأى عن الإعتقال والتصفية الجسدية.

ومع بداية عام 1978 كان عدد المنخرطين في جبهة الساندنيستا التقدمية لا يزيد عن ألف وخمسمائة شخص يعيشون في الأدغال يقومون بأعمال حرب العصابات. وتمكنت الجبهة من إقامة نوعٍ من التحالف المصطنع والمؤقت مع طبقة رجال الأعمال الغنية، وتحالف حيوي وجوهري مع فقراء

المدن. وأدى هذا الموقف إلى زيادة عدد المشتركين والمؤيدين للجبهة، ربما لعشرة أضعاف، وهؤلاء هم الذين تحملوا عبء بناء المتاريس وتوفير إمدادات الغذاء والمعلومات وصناعة القنابل البدائية.

لقد كان طموح الساندنيستا يتجاوز مجرد تغيير الواقع الأليم لفقراء نيكاراغوا. بل لقد سعوا لجعل نيكاراغوا نموذجاً لدول امريكا اللاتينية الفقيرة، وحلموا أن يصلوا الى أفريقيا وإلى الأجزاء الأخرى من العالم الثالث لإنهاء السيطرة التقليدية للدولة المتقدمة عليها.

وتحدو كذلك المفاهيم الخاطئة لتميز جنساً على جنس، بل لقد شجعوا النساء على ممارسة حقوقهم السياسية. والأهم من ذلك انهم صمموا على مقاومة التدخل الأمريكي، والحفاظ على سيادة نيكاراغوا مهما كانت التكاليف.

ولكن نيكاراغوا ـ برغم هذا التفاؤل ـ كانت في مأزق حقيقي لا أمل للخروج منه سريعاً. فحين هرب سموزا لم يكن في الخزانة العامة سوى ثلاثة ملايين ونصف المليون دولار. وأدت الحرب وزلزال مانغوا سنة 1972 إلى تدمير أسس الزراعة والصناعة. وتسببت الكارثتان عن مائة وخمسين الف جريح بينما كان عدد الأسرّة المجهزة في المستشفيات لا يتجاوز الخمسة آلاف. هذا بالاضافة إلى أربعين ألف طفل يتيم. وتشرد أكثر من نصف مليون مواطن. وانخفاض مستوى العمر الإفتراضي إلى ثلاثة وخمسين عاماً. وزيادة نسبة وفيات الأطفال الرُضَّع بنسبة 12% بينما كان نصف المجتمع يعاني من الأميّة. ويقل مستوى الدخل السنوي للفرد عن ثلاثمائة دولار. وعلى مستوى آخر فلم يكن هناك برلمان أو جهاز إداري أو بوليس أو جيش أو قضاء وكان ثمة ضرورة عاجلة لإعادة تشكيل هذه الآليات الأساسية لتسيير حركة المجتمع.

ولكن بعد أسابيع قليلة اندلعت المعارك في المدن بين حرّاس الديكتاتور السابق وبين قوات الساندنيستا. وكان الحراس قد بدأوا في الظهور من أماكن اختفائهم وبدأوا في مهاجمة الساندنيستا بشراسة.

وبرغم هذه المصاعب فقد سادت روح التعاون على مستويات عدة. فقد تطوع الآلاف بإجازاتهم لإزالة آثار الخراب التي خلّفتها الحرب وبناء الطرق. وانعكست هذه الوحدة في تشكيل المكتب السياسي الحاكم الذي تشكل من ثلاثة أعضاء من الساندنيستا واثنين من ممثلي رجال الأعمال المحافظين وهما: فيوليتا شامورا أرملة صاحب جريدة (لابرسيه)، والمليونير (ألفونسو روبيلو) أحد رجال الصناعة والذي كان يلقى ترشيحه في المكتب السياسي سلسلة من الإعتراضات.

وفي إطار الجهد المتواصل للقفز بالاقتصاد المتردي، إنتشر شباب الساندنيستا في أرجاء نيكاراغوا وأقاموا مكاتبهم في أكشاك خشبية وعملوا دون توقف لبناء المجتمع الجديد. وانتشر نوعٌ من المثالية الفوضوية وأملٌ عارمٌ في أن تتحول نيكاراغوا لنموذج يحتذى به في باقي دول العالم الثالث. مما أدى إلى تدفق المساعدات الخارجية التي وصلت إلى 1,2 بليون دولار خلال العام الأول متضمنة وعداً من الولايات المتحدة بمساعدة قدرها خمسة وسبعين مليون دولار.

وفي 23 اغسطس تجمع أكثر من 000 250 مواطن في الميدان الرئيس بمدينة مانغوا كي يرحبوا بعودة 000 70 من متطوعي حملة محو الأمية. وأفضل ما حققته حملة محو الأمية هو تأهيل قدر كبير شباب الطبقة المتوسطة من أبناء المدن الذين ذهبوا إلى الجبال والأحراش واكتشفوا ثروة أمتهم الطبيعية وعمقها التاريخي، كما لمسوا كذلك الفقر الذي يعيش فيه

القرويون. وهذه الحملة والنجاح فيها تمثل رمزاً لعزم الحكومة على نشر ثمار الثورة.

وأولى هذه الثمار كانت للتغيرات الاجتماعية، وتخفيض معدلات البطالة وإصلاح أساليب العمل، والصرف الصحي ومشروعات التنمية والتعمير. وتم بناء العيادات الريفية العامة وإنشاء برامج تدريبية موسعة. وتوسع الغطاء التأميني من 30% إلى تغطية صحية شاملة لكل الشعب. وتم تحويل المنشآت التي تم مصادرتها من عائلة سموزا إلى بيوت للمسنين أو ملاجىء للأيتام وانخفضت إيجارات المساكن في المدن إلى النصف.

ولكن التوترات السياسية مثّلت عنصر تعويق حاد لهذا التطور المضطرد. إذ تمكن الآلاف من المحافظين من الهرب آخذين معهم معدات وآلات ومؤن وملايين الدولارات. وكان رد الفعل هو إصدار تشريع للإطاحة بهم والسماح للفلاحين بتملّك المزارع النموذجية. والمواقف المعارضة كانت تتمثل في الهجمات المستمرة على الممتلكات الخاصة. وأدرك المحافظون أنه ستتم محاولة فرض نظام الحزب الواحد وبدأ المحافظون ممارسة نوع من النقد المرير لسيطرة الجبهة على جيش الشعب والبوليس وكل أقنية التلفزيون. وكانت الساندنيستا واعية تماماً لتاريخ وكالة المخابرات الأمريكية في السعي نحو هزّ استقرار الحكومات اليسارية في أمريكا اللاتينية. ولذلك، فقد صممت على منع خصومها من استخدام أجهزة الإعلام والقوات المسلحة في تقويض الثورة. وعلى الرغم من اتهامات ودعاوى الولايات المتحدة فإن التعددية تمثل دائماً جزءاً مطروحاً من الإطار العام للتغيير.

وتعد العقبات المالية التي واجهت برنامج تأميم عناصر الاقتصاد القومي الأساسية إحدى أهم العقبات التي واجهت عملية التغيير الاجتماعي من أساسها فضلاً عن المخاطر التي ترتبت على تدخل الولايات المتحدة. وكان

من المتوقع أيضاً معارضة الأحزاب التي تشترك في صياغة الدستور الثوري الجديد. وتحاول التنسيق مع القطاع الخاص، على الرغم من أنه في الفترة من 1980-1982، تم توجيه 54% من إجمالي القروض الحكومية المخفضة الفائدة للمشروعات الانتاجية الخاصة.

وفي شهر أبريل أعلن المكتب السياسي تشكيل المجلس الإستشاري للدولة وكان المحافظون يأملون في فوزهم بالأغلبية الساحقة. ولكنهم فازوا بأحد عشر مقعداً فقط من إجمالي سبعة وأربعين مقعداً بينما فازت جبهة الساندنيستا التقدمية بأربعة وعشرين مقعداً واضطر كلٌ من روبيلو وشامورا لتقديم استقالتهما. وبجهد تفاوضي عنيف أمكن منع منظمة رجال الأعمال من مقاطعة الجمعية التشريعية. ومع عودة حملة محو الأمية أعلن وزير الدفاع همبرتو أورتيغا شقيق أمين عام المكتب السياسي - دانيال أورتيغا - أن الانتخابات العامة لن تتم قبل عام 1985، مما أصاب المحافظين بالرعب وانعكس هذا الموقف على معدلات الاستهلاك، وجدِّية المزارعين ومعدلات إنتاجهم مما أدى في النهاية إلى حدوث حالة أقرب إلى المجاعة.

واتهمت جبهة الساندنيستا أتباع سموزا ومنظمة رجال الأعمال باستخدام أساليب رخيصة للتشكيك في قدرات الثورة ومدى إمتلاكها للمقومات الأساسية للحكم، ونقص الكفاءة، وانعدام قاعدة المعرفة الأساسية.

وفي شهر نوفمبر قام شباب (الساندنيستا) بمهاجمة وتفتيش مكاتب الحزب الذي أسسه روبيلو. وسرعان ما عرضت منظمة رجال الأعمال التفاوض بشأن الإنسحاب من مجلس الدولة الاستشاري دون بذل أي محاولة للعودة مرة أخرى. وبعد مرور أسبوع واحد أُعدم جودي سالازار - رمياً بالرصاص واعتُقِلَ عدد كبير من الأعضاء بتهمة تهريب السلاح إلى البلاد. وفي النهاية أدرك المحافظون أن العمل مع الساندنيستا أضحى مستحيلاً.

وعلى الرغم من التوترات التي يعكسها واقع ما بعد الثورة إلا أن انجازات الثورة كانت متميّزة على نحو واضح. إذ تمكنت الحملة القومية لمحو الأمية التي بدأت عام 1980 من تخفيض نسبة الأمية من 51% إلى 13%. فضلاً عن أنها ساعدت في تمكين شباب المدن من الطبقة المتوسطة من اكتساب خبرة متميزة بوصفهم متطوعين في حملة محو الأمية. ومن ثم فقد تحول هذا القطاع من المجتمع من موقف الحياد إزاء حالة الصراع القائم إلى الإلتزام الكامل في أهداف الثورة، بل ومبشرين بها بين أوساطهم مما مكن الجبهة من اكتساب قدر هائل من التأييد.

لقد وحدت هذه الحملة نيكاراغوا. بل وأكدت هذه الوحدة. ويمثل انتخاب رونالد ويلسون ريغان - كرئيس للولايات المتحدة أحد أكثر الأحداث تأثيراً على نيكاراغوا في عقد الثمانينات. وتعامل ريغان بشراسة من أجل الإطاحة بالدولة الماركسية. وأصبحت نيكاراغوا هي أرضية الإختبار الأساسية للإستراتيجية الأمريكية التي تقوم على الإطاحة بالحكومات دون التدخل العسكري الأمريكي. وبمجرد إعلان تولي ريغان الرئاسة قام بتجميد المساعدات التي يتم تخصيصها لنيكاراغوا بما فيها ائتمان القروض التي يتم تخصيصها للغذاء. بل وأصدر سلسلة من الأوامر بالإعتراض على كل القروض المالية المخصصة لنيكاراغوا.

وأول كارثة أصابت حركة التطور والتنمية التي تقودها الثورة كانت وقف القروض الخاصة بإنشاء شبكة طرق لعدد من القرى كان من شأنها أن تساعد الفلاحين في نقل المحاصيل إلى الأسواق. مما انعكس على الواقع الاقتصادي انعكاساً سلبياً. وعلى مدار الأربع سنوات التالية انخفضت المساعدات من 110 ملايين دولار إلى صفر. وفي التاسع من شهر آذار/ مارس قام الرئيس (ريغان) بالتوقيع على بدء عمليات جهاز المخابرات المركزية الأمريكية السرية ضد نيكاراغوا. بل وقامت وكالة المخابرات الأمريكية

كذلك بدفع وحفز الأرجنتين لتجنيد وتدريب حرس الديكتاتور السابق لخلق حركة مناهضة للساندنيستا وهي المنظمة التي أطلق عليها فيما بعد اسم (الكونترا) وخلال هذه الفترة كان اقتصاد نيكاراغوا في حالة رواج. فعلى مدار الثلاث سنوات التالية تطور اقتصاد نيكاراغوا بشكل تجاوز كل بلدان أمريكا اللاتينية. وفي العديد من المجالات مثل الصحة، والتعليم والإسكان والتشييد وفي مجالات الطاقة والكهرباء. وتزايد استهلاك الفرد من لحم الخنزير والأرز بنسبة 60% عما كان عليه في عام 1977. ورغم ذلك فقد كان يمكن رؤية بعض المتسولين في الشوارع، لأن الثورة لم تكن قد استكملت إنجازاتها بعد.

وتعرضت الثورة فيما بعد لاختبار ولاء العامة لها. وفقدت بالفعل في هذه الفترة (أوجين باستورا) الذي سعى لاحداث إنشقاق في الجيش وقام بتحدي الجبهة لصالح المحافظين وأنصار سموزا، وحين تم اكتشاف المؤامرة هرب إلى المنفى. وكان رد فعل جموع الشعب إزاء هذا الموقف هو التظاهر وتمزيق بطاقات التجنيد الموقعة باسم (باستورا).

وتصاعدت الأزمة المالية بسبب ائتمان القروض التي قدمتها الثورة للمزارعين. والمرتبات التي تم دفعها للموظفين الحكوميين الجدد. والدعم المادي لعدد من السلع الأساسية.

وانعكست هذه الأزمة على نقص المواد الغذائية الشديد وهي الأزمة التي تفجرت في العديد من بقاع نيكاراغوا. وأصبحت مثار شكوى المواطنين، بينما أجبرت الأنظمة التي تجاورنا على التزام الصمت إزاء ما نواجهه من أزمات متفاقمة. وقامت البنوك والمؤسسات التجارية التي تم تأميمها من توفير القدرة للحكومة للسيطرة على المشروعات والأعمال الخاصة وذلك بتحديد المزارع والمصانع التي يجب توفير العملة الصعبة لها لتتمكن من

شراء البذور أو الماكينات ومستلزمات الإنتاج وتقدير أثمان منتجاتها بما ساهم في ترشيد إنفاق العملة الصعبة، وتحديد أسعار المنتجات على أساس صحيح. هذا بينما تقدمت منظمة رجال الأعمال بشكاوى مفادها أن الروتين والصراع السياسي أديا إلى تأخير الإئتمان والإضرار الشديد بأعمالهم وبدأ رأس المال بالفعل في التسرب للخارج.

وبحلول نصف العام كانت حوالى 30% من إجمالي الأراضي عاطلة عن الإنتاج إما بسبب هجرة ملاكها، أو بانتظارهم لما تسفر عنه الصراعات السياسية.

وفي 19 يوليو أعلنت الجبهة قانون الإصلاح الزراعي الجديد والذي تم استصداره ليعدل أوضاع الملكيات الكبيرة أو الملكيات التي تنازل عنها أصحابها أو غير المنتجة. وقامت الجبهة بتمليك الأراضي المصادرة للمزارع الجماعية أو الفلاحين المستقلين وذلك لتوسيع نطاق المزارع التابعة للدولة، والاستفادة من الأراضي التي آلت للدولة والتي كانت تملكها عائلة الديكتاتور سموزا.

وفي شهر أغسطس من العام نفسه قام ريغان بتقديم رسالة استفزازية قدمها مبعوثه لقادة الجبهة مفادها.. أنه بالإمكان خلق صيغة للسلام بين نيكاراغوا والولايات المتحدة بشرط إعادة السلطة للمحافظين. وبالطبع رفضت الجبهة هذا الإنذار المتهوِّر. وفي الشهر التالي مباشرة بدأت الممارسات الارهابية للولايات المتحدة، وذلك بإشتراك القوات الأمريكية وقوات هندوراس في مناورات مشتركة على الحدود الشمالية لنيكاراغوا.

وفي شهر نوفمبر وافق ـ ريغان والكونغرس على تخصيص ما يقرب من عشرين مليون دولار مساعدة (للكونترا). في الرابع عشر من شهر آذار/ مارس بدأت المخابرات المركزية الأمريكية في تدريب مخربي الكونترا في قاعدة

تقع تحت أهم معبر بالقرب من حدود هندوراس. وعلى الرغم من استمرار الهجمات المنفصلة لقوات الحرس السابق إلا أنه بحلول عام 1979 عكست كفاءة هذه العمليات وكثافتها بداية التعاون القائم بين الحرس والكونترا مما دفع المكتب السياسي إلى إعلان حالة الطوارىء في اليوم التالي مباشرة. باختصار تمكنت الولايات المتحدة من جر البلاد سريعاً إلى حالة حرب لم تكن مستعدة لها.

ومما زاد الموقف سوءاً أنه بمجرد أن اختار (روبيلو) ومؤيدوه المنفى الاختياري سعوا لتشكيل جيش عصابات مسلحة بالاشتراك مع (باستورا). وفي غضون عام كانت هذه العصابات تقوم بعمليات عسكرية من كوستاريكا.

وإزاء هذا الموقف البالغ الخطورة رأت الساندنيستا ضرورة التحرك نحو حماية الإستقرار الداخلي، والسيطرة على الخصوم الداخليين، ومن ثم وسّعت أساليب الرقابة لتحظر كل وسائل الإعلام. وتعرض قادة المحافظين والتقليديين لحملات القمع المستمرة. وفي الريف قامت وحدات الأمن الخاصة بالجبهة بتضييق الخناق على من يشكون بولائهم للثورة بل كانوا يضربون البعض ويحتجزونهم دون محاكمة لأسابيع عديدة.

وفي منطقة ساحل الاطلنطي تجاوزت الأحداث إمكان السيطرة عليها، فقد وصل أعضاء جبهة الساندنيستا إلى هذه المنطقة، عام 1979 وتمكنوا من تحقيق بعض التقدم الاجتماعي والاقتصادي في هذه المنطقة منها إنشاء أول طريق بري يربط هذه المنطقة المنعزلة بباقي البلاد إلا أنهم أظهروا قدراً ضئيلاً من فهم طبيعة هذه الجماعات الهندية الملوّنة. وحين حاول بعض قادة الهنود المسكتوز القيام بحركة انشقاق تم سجنهم، وبعد اطلاق سراحهم تمكنوا من الهرب إلى هندوراس ومع نهاية عام 1981 بدأوا أول هجماتهم المسلحة ضد

الجبهة، مما دفعها إلى تهجير جماعات الهنود من موطنهم التقليدي، فتم ترحيل حوالى ثمانية آلاف وخمسمائة هندي مسافة أربعين ميلاً عن موطنهم الأصلي وتمّ توطينهم في مناطق تم استقطاعها من الأدغال، ثم قامت قوات الساندنيستا بإشعال بيوتهم وكنائسهم ومحاصيلهم. وفي نفس العام تعرض سبعة الآف هندي لنفس الخطأ الفادح، فضلاً عن اختفاء قرابة الخمسين هندياً.

هذا الموقف أدى أن الكنيسة الكاثوليكية بدأت في استخدام نفوذها ضد الحكومة. بالإضافة إلى أن الساندنيستا كانت تسعى لتحويل الكنيسة إلى كيان يمكن صهره مع الفكرة الماركسية على أساس فكرة لاهوت التحرر التي أدت إلى انشقاق الكنيسة في القارة بأكملها. وكان معظم مؤيدي الثورة من أتباع الكنيسة. بل لقد كان هناك أربعة قساوسة أعضاء في مجلس الوزراء. وحين رفضوا نداء كبير الأساقفة (ماجويل أوباندو) لهم بالاستقالة من الحكومة قام بطردهم من رعية الكنيسة التابعين لها. فقام بعض رعايا الكنيسة المؤيدين لهم بالإعتكاف في كنائسهم بل إن بعض الشبّان قد تصادموا مع المطران على نحو صريح.

أدّت هذه التطورات إلى قيام المنظمة العالمية لحقوق الإنسان بانتقاد الثورة للمرة الأولى بعد أن كانت تمتدحها لقدرتها على النجاح في تحويل واقع نيكاراغوا دون كثير من الضحايا.

ولكن الولاء للثورة ومكتسباتها ظل قوياً إلى حد كبير. فقد استمرت حملة محو الأمية، وتضاعفت أعداد المدارس وظلت أسعار الغذاء والمواصلات مستقرة وامتدت خطوط التلفونات عبر الأدغال لتصل شطري الدولة وذلك للمرة الأولى، وتطوع الآلاف لتسجيل أسمائهم للحصول على التدريبات العسكرية الأولية وأصبحوا منتظمين في كتائب احتياطية.

ولكن يبدو أن الموقف كان يقترب بشكل حتمي من الانفجار. فقد تحول ميدان مانغوا مرة أخرى كشاهد على دراما الثورة في نيكاراغوا. ففي 4 مارس وقف البابا يوحنا بولس الثاني في مواجهة 000 750 مواطن ليلقي محاضرة جادة أدان فيها موقف الكنيسة في نيكاراغوا (والتزاماتها الايديولوجية غير المتوقعة) ويقصد بهذه الإلتزامات موقف الكنيسة من جبهة الساندنيستا والسلطة الحاكمة وأخذ ينغم في صوته بشكل مؤثر. وانتهى هذا الموقف المضطرب إلى وقوف الكنيسة على نحو حازم مع المعسكر المناوىء للثورة.

وكانت هناك محاولة للحفاظ على حق أمريكا التاريخي في السيطرة على أحداث المنطقة. إذ سعت مجموعة دول الكونتادورا (فنزويلا، كولومبيا، بنما والمكسيك) إلى إدارة حوار بين الولايات المتحدة والساندنيستا.

وبدلاً من أن تقوم الولايات المتحدة بإجراء الحوار، سعت إلى إثارة أكبر قدر من المخاوف لدى الساندنيستا. فقام البنتاغون بإجراء مناورة عسكرية كبيرة بالإشتراك مع هندوراس بالقرب من حدود نيكاراغوا. شملت هذه المناورة عملية غزو صورية لبلدان أمريكا الوسطى.

وفي شهر أقلعت حاملة الطائرات (رانجر) ومجموعتها المقاتلة لتظهر بالقرب من ساحل نيكاراغوا. وتلى ذلك إجراء أكبر مناورة عسكرية في تاريخ أمريكا الوسطى وذلك في شهر سبتمبر، حيث كانت البارجة العملاقة (نيوجيرسي) تطلق بخار محركاتها بالقرب من الشاطىء. بل لقد قامت بعض الوحدات العسكرية التي تديرها وكالة المخابرات المركزية بمهاجمة بعض منشآت البترول في كورينتو وسانديانو ودمرتها جزئياً.

وبدأ مسؤولون عسكريون في كلٍّ من هندوراس والسلفادور وغواتيمالا وبنما بمناقشة إمكانية التدخل العسكري ودعم حكومة الكونترا المؤقتة. بينما

أعطت الأنباء الصادرة من البنتاغون الانطباع بأن الهجمة النهائية على وشك الوقوع. ويغزو الولايات المتحدة لغرينادا تأكد هذا الانطباع. وبدأ شبح الحرب يفرض وجوده على مجتمع نيكاراغوا. فبدأ التلفزيون يبث برامج تدريب عسكرية، وبرامج وقاية. وسارع الشعب إلى حفر الخنادق. بل إن بعض الشعارات الأجنبية بدأت في مناقشة خطط الإجلاء عن نيكاراغوا. وفي الوقت نفسه قدم المكتب السياسي مشروع قانون للخدمة العسكرية الإجبارية، وكان الجيش فيما سبق يعتمد على المتطوعين والوحدات الاحتياطية.

ولقد قررت الساندنيستا أن مصائب الحرب لن يتحملها مؤيدوها فقط مما دفع الآلاف من شباب الطبقة المتوسطة في المدن من الهرب إلى المنفى الاختياري.

وأخيراً يمكن القول إن قرار الخدمة العسكرية الإجبارية كان من أكثر القرارات إضراراً بالسلندنيستا. وفي شهر نوفمبر وفي محاولة لتقليل التوترات مع الولايات المتحدة قام المكتب السياسي بإصدار الأوامر لرجال العصابات في السلفادور بالعودة الى وطنهم. وسلطت الرقابة على المطبوعات بشكل مفاجىء وكبير وأعلنت إجراء الانتخابات في العام 1984.

وسلمت أخيراً بعض الاقتراحات التي قدمتها مجموعة دول الكونتادورا لتحقيق المصالح الأمنية الأمريكية. ولكن الخط المتشدد في واشنطن رفض إجراء أي مباحثات للتسوية مع الساندنيستا.

إن الجبهة لم يتح لها فرصة الاحتفال بما قدمته فسرعان ما تم دفعها إلى ساحة الحرب التي هزّت استقرارها وبقاءها في الحكم بشدة.

وفي أوائل شهر يناير قامت وحدات تابعة للمخابرات المركزية باستخدام قوارب حديثة مجهزة لتلغيم ثلاثة من أكبر موانيء نيكاراغوا حيث تعرضت سفن من هولندا وبنما والاتحاد السوفيتي وأخيراً اليابان لأضرار بالغة. وتوالت

الصيحات في أنحاء العالم، فاعترضت بريطانيا، وقدمت فرنسا عرضاً بإرسال كاسحة ألغام. وقامت نيكاراغوا برفع قضية ضد الولايات المتحدة في محكمة العدل الدولية التي أقرت بإدانة الولايات المتحدة، بل إن السيناتور الأمريكي (باري غولدووتر) كتب لرئيس المخابرات المركزية وليم كيسي قائلاً:

«... إن هذا التصرف يتحدى القانون الدولي. إنه عمل من أعمال الحرب».

ودفع هذا الموقف الكونغرس - في شهر اكتوبر التالي - إلى أن يمرر مشروع إصلاح بولندا وأن يرجىء كل المساعدات التي كان يقترح تخصيصها للكونترا.

وفي هذه الفترة اتسمت هجمات الكونترا بالشراسة والتركيز على كل ما له علاقة بالثورة بما في ذلك المدارس والعيادات الطبية والمزارع التعاونية وتأخر رد فعل الساندنيستا لأن قانون التجنيد الاجباري لم يكن قد بدأ تنفيذه بعد. وكان الاعتماد على المتطوعين والكتائب الإحتياطية، بينما تقوم المخابرات المركزية بتدريب وحدات الكونترا.

وأدّت هجمات الكونترا بالمدرعات إلى تدمير الجسور والمزارع واعتمد على الفلاحين المتطوعين فقط في صد هذه الهجمات. وأصبح من الصعب حصاد المحاصيل وبشكل خاص محصول البن الحيوي. وبالتالي ساء الموقف الغذائي وتزايد النقد الموجه للساندنيستا مما أثر في النهاية على التأييد الشعبي لها.

وفي سبتمبر قبلت الساندنيستا - على مضض - اقتراح مجموعة دول الكونتادورا بتوقيع معاهدة سلام اقليمية. وعلى الرغم من الحرص في صياغة بنود الاتفاقية إلا أن البيت الأبيض رفضها وطلب إعادة صياغتها مرة أخرى.

وكانت نيكاراغوا تقوم بالإعداد لانتخاب رئيس جمهورية جديد ومجلس

نواب. وكانت الساندنيستا تأمل بأن الانتخابات الديمقراطية سوف تقنع الولايات المتحدة بأن تترك نيكاراغوا وشأنها.

وحين عاد (ارتورو كروز) مرشح تحالف المحافظين إلى نيكاراغوا من منفاه الاختياري في واشنطن، سحب ترشيحه وأكد أن العملية الانتخابية غير عادلة، مشيراً بذلك إلى تجميع المؤيدين للساندنيستا في ثلاثة معسكرات وتمارس عليهم إجراءات قمع وعنف.

وبالرغم من ذلك، فإن الساندنيستا فازت بـ 67% من الأصوات، بينما فازت تسعة أحزاب معارضة بنسبة 29% وقد صرح المراقبون الأجانب بمن فيهم مبعوث حزب المحافظين البريطاني أن التصويت كان حراً وعادلاً. ولكن استناداً إلى امتناع (كروز) عن التصويت رفضت المخابرات المركزية والبيت الأبيض نتائج الانتخابات وبمجرد إعلان النتائج قامت مصادر المخابرات المركزية بتسريب تقارير كاذبة حول أن المقاتلة السوفيتية (ميغ) في طريقها إلى ميناء (كورنتو). وناقشت الدوائر الخاصة (بالبنتاغون) ما يسمى (بالضربة الجراحية) وما لبث الجواسيس أن تدفقوا الى نيكاراغوا. وتمكن ريغان من اكتساح النصر وأخيراً أحكم قبضته على نيكاراغوا.

في 10 من شهر يناير حلف ـ دانيال أورتيغا ـ اليمين بصفته أول رئيس ديمقراطي منتخب في نيكاراغوا. وبأمر من الولايات المتحدة أرسلت حكومات قليلة للغاية ممثلين على مستوى رفيع للاحتفال بتنصيب أورتيغا. بينما أصر ريغان على رفضه نتائج الانتخابات واستمر في جهوده الرامية إلى زعزعة الإستقرار في نيكاراغوا.

وعلى مستوى الحرب الدائرة بين الساندنيستا وعصابات الكونترا فقد لعب عنصران هامان دوراً أساسياً في دفع عصابات الكونترا إلى العودة إلى قواعدهم عبر الحدود في هندوراس..

هذان العنصران هما وصول المقاتلة (MIG) وحاملة الطائرات وعليها عدد من الطائرات المقاتلة واستكمال تشكيل الكتيبة المجندة تجنيداً إجبارياً والتي كانت على مستوًى عالٍ من التسليح والتدريب والخبرة القتالية مكّن الساندنيستا أخيراً من إحراز نجاح ملحوظ في حربها ضد الكونترا.

لكن إعلان ما يسمى بقانون الخدمة العسكرية دفع بالمطران (أوباندو براڤو) للتساؤل حول شرعية الحكومة. وأعلن ضرورة أن تعلن الحكومة عن موقفها إزاء من يعارضون أيديولوجيتها بوحي من ضميرهم الخاص. وفي شهر إبريل قام البابا بمكافأة أوباندو وترقيته إلى درجة كاردينال. وفي طريق عودته من روما إلى وطنه توقف في مطار ميامي للاحتفال بإقامة قداس أقامه كبار قادة الكونترا.

وبعد عودته أصبح الأب (أوباندو) القائد الرمزي لكل فصائل المعارضة. وبتشجيع منه خرجت الأمهات للاعتراض على قانون التجنيد وحدثت مصادمات بينهن وبين المجندين المسلحين في الشوارع بينما قام بعض القساوسة بإخفاء المنشورات المناهضة للثورة.

وكان ثمة تغيير قامت به الحكومة لسياسة الإصلاح الزراعي نتيجة لهجمات الكونترا المتتالية على المزارع التعاونية، مما دفع الحكومة إلى إلزام الفلاحين بتقديم مزيد من الإنتاج دون مقابل... استناداً إلى ولائهم القوي للثورة، مما خلق حالة من الاستياء والرفض بين أوساط الفلاحين. فضلاً عن قيام الجيش بإجلاء سبعة آلاف مزارع عن أراضيهم لإنشاء عدة معسكرات، مما أدى إلى تصاعد حالة الاستياء.

وفي عام 1985، وبعد مرور 3 سنوات من القتال بين قوات الساندنيستا ومتمردي الهنود قامت الحكومة بتوقيع هدنة مع قادة حرب العصابات الهنود ومنحتهم حق الحكم الذاتي وسمحت للآلاف منهم بالعودة إلى وطنهم

التقليدي مما كان له انعكاسه على مصداقية الحكومة بشكل عام. إذ إن هذا الموقف يمثل مجازفة استراتيجية، وبتر لجزء من جسد الأمة. والجدير بالذكر أنه بفعل الحصار الاقتصادي والنقص الشديد في مقومات الحياة وتزايد معدلات الهجرة من الريف إلى المدن حتى وصل عدد السكان في مانغوا إلى ثلث عدد سكان نيكاراغوا مما أدى الى تفاقم مشكلات النقل والخدمات العامة والغذاء. وتزايد هذه الضغوط أدت في النهاية إلى عدد من الانقسامات السياسية في البلاد.

على الرغم من النجاح الملحوظ الذي حققه الجيش في صراعه مع عصابات الكونترا وتمكنه في النهاية من السيطرة على الجانب الشمالي الغربي حيث تتمركز الوحدات الرئيسية للكونترا. وقيام الكونترا نفسها بحل أكبر وحداتها وهي وحدة (أوجين باستور) والتي كانت تتخذ كوستاريكا قاعدة لها.

ما لبث هذا الموقف أن تغيَّر في غير صالح جبهة الساندنيستا. فأخيراً وفي شهر أغسطس خضع الكونغرس للضغوط التي يمارسها ريغان. وتم اعتماد مبلغ مائة مليون دولار كمساعدة عسكرية جديدة للكونترا. وكان هذا المبلغ اكثر من كافٍ لدعم المتمردين. فسريعاً ما تشكلت الوحدات المسلحة، وتم تسليحها بالأسلحة الثقيلة ومعدات الإتصال الإلكتروني، والمدافع المضادة للطائرات التي بدأت في التحرك مرة أخرى عبر الحدود مع هندوراس.

ولم يكن رد فعل ـ الساندنيستا ـ على نفس المستوى من القوة، ولكنها اتسمت بالقسوة. فقامت باعتقال قادة المعارضة الذين أيدوا المساعدة للكونترا أو دعوا إليها. وقامت بإغلاق جريدة لابرنسيه ومحطة الإذاعة الكاثوليكية. كل هذه الأساليب قوضت التأييد المطلق للثورة مما دفع البعض

إلى تصديق ادعاء ريغان بأن رجال الساندنيستا مجموعة من الطغاة والديكتاتوريين.

وفي الخامس من شهر اكتوبر بدأ إدراك أبعاد الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، إذ تمكنت قوات الساندنيستا من إسقاط طائرة شحن من طراز - س 123 - وتم أسر أحد أفراد طاقمها الذي أدلى باعتراف أنه أحد أفراد جهاز المخابرات الأمريكية التي قامت بعملية بيع سلاح للكونترا، وهي العمليات التي دعا الكونغرس وبجدية لضرورة وقفها منذ عام 1984. ولقد أكدت الوثائق التي تم الحصول عليها في ما بعد صحة هذه المعلومات. وأكدت كذلك على تورط الكولونيل أوليفر نورث في هذه العملية.

وفي الخامس والعشرين من شهر نوفمبر إضطر النائب العام الأمريكي لإعلان أن إيراد الصواريخ التي يتم بيعها إلى إيران يتم استخدامه بشكل غير قانوني لشراء أسلحة للكونترا، وهو ما عرف باسم - إيران غيت وأن الكونترا استخدمت هذا الموقف لزيادة قدرتها وتسليحها وانها سعت لاسترضاء واشنطن لضمان هذا الدعم الذي أدى - ببساطة - إلى دمار نيكاراغوا وضرب اقتصادها الزراعي على نحو خاص. فضلاً عن أن الحظر التجاري أدى إلى انهيار الصناعة. والتصدير دخلته حالة الصعوبة المتزايدة للحصول على أي قرض أجنبي تحت ادعاء انهيار الاقتصاد. وعدم إيجاد الوسيلة الملائمة لردع الكونترا بما يعني استمرار الخطر.

في الإحتفال العام الذي عقد في شهر يناير 1987 قام الرئيس دانيال اورتيغا بتوقيع دستور نيكاراغوا الجديد والذي بمؤداه يتم العمل بأسلوب التعددية السياسية والاقتصاد الحر وعدم الانحياز على مستوى السياسة الخارجية. ولقد وفرت هذه الوثيقة إطاراً قانونياً للسلطة الثورية. وقد أملت الساندنيستا ان هذا سوف يساعد في تفهم طبيعة الأزمات الداخلية

والخارجية التي تواجهها وهي في حالة من الاستقرار القائم على القانون وأن الدستور ليس صياغة لمعتقدات الساندنيستا ولكن مثل أساساً للكرامة الوطنية والكبرياء القومي. وقبل إعداد وثيقة الدستور تمّ السعي للحصول على توصيات عدد كبير من الفقهاء الدستوريين في أنحاء العالم، وقامت بعقد لقاءات مفتوحة مع أكثر من مائة ألف مواطن ليقدموا اقتراحاتهم ووجهات نظرهم بشأن هذه الوثيقة البالغة الخطورة.

في واشنطن، أدت التحريات التي أجريت بشأن فضيحة إيران غيت الى تآكل سلطة وشعبية ريغان مما قلص من قدرة الرئيس على الضغط على الكونغرس لاعتماد مساعدات جديدة للكونترا بينما أخذت حالة الاقتصاد النيكاراغوي تسوء وأصبح الموظفون يعتمدون على وجبات أسبوعية إضافية وتجاوزت أسعار السلع المنزلية الأساسية فإن مرتبات الموظفين. ووصل التضخم إلى معدلات كبيرة. ولحسن الحظ فإن شرارة الحرب قد انطفأت بتقلص المساعدات الأمريكية للكونترا.

وفي شهر اغسطس حين اجتمع خمسة زعماء لأمريكا الوسطى في غواتيمالا وذلك لبحث إمكان تحقيق السلام كانت الساندنيستا مستعدة بالفعل لتقديم سلسلة من التنازلات الهامة لإنهاء الحرب في نيكاراغوا. ووصل رئيس كوستاريكا (أوسكار آريس) ومعه اقتراح مقدم من جيم رايت ـ المتحدث باسم الديمقراطيين في مجلس النواب الأمريكي. والاقتراح يدعو إلى الوقف العاجل لإطلاق النار في المنطقة. ووقف كل المساعدات التي يتم تقديمها للحركات المسلحة في المنطقة والعفو العام عن كلّ المتمردين. ويلي هذا الموقف التفاوض مع الخصوم غير المسلحين. وحُظّر استخدام العصابات لمناطق في دولة لمهاجمة دولة أخرى. وأخيراً تحقيق الديمقراطية وإقامة انتخابات حرة.

وقبول الساندنيستا لهذه الخطة أدى إلى صدم الخط المتشدد في إدارة الرئيس ريغان الذي حاول عبثاً دفع حلفائه في هندوراس والسلفادور لرفض هذا المشروع.

وفي شهر اكتوبر فاز الرئيس (آريس) بجائزة نوبل للسلام وذلك لجهوده بشأن السلام وبقدرته على إقناع رؤساء جمهوريتي السلفادور وهندوراس أن يسعوا لدى الكونغرس الأمريكي حتى لا يوافق على مساعدات أخرى للكونترا. وكردّ فعل لهذا الموقف بدأت الساندنيستا في تنفيذ بنود الاتفاق فانسحبت بالفعل من مناطق إستراتيجية كانت تحتلها وسمحت بصدور جريدة (لابرنسيه) وإعادة البث الإذاعي للإذاعة الكاثوليكية. وقاموا بإلقاء الإجراءات الأمنية الخاصة بل وسمحت بالمظاهرات المناهضة. والأكثر أهمية من كل ذلك أنها قامت بإنشاء لجنة مصالحة قومية دعت إلى الاشتراك فيها ورئاستها عدوها القديم الكاردينال (أوباندو برافو).

وأخيراً وافقت الساندنيستا على إجراء المباحثات المباشرة مع الكونترا وذلك عبر وساطة الكاردينال (أوباندو). وعبر الحدود مع هندوراس تدفق الآلاف من شعب نيكاراغوا الذين كانوا قد هربوا خوفاً من الحرب أو للاشتراك مع الكونترا. وكان من الطريف مشاهدة التئام شمل الأسر مما قوى الأمل في إمكان تحقيق السلام. ولكن ليس من السهل على أي حال تحقيق هذا السلام.

ومرة أخرى خلال ربيع عام 1988 رفض الكونغرس الأمريكي طلب الرئيس ريغان بشأن اعتماد المساعدة للكونترا. كانت خطة السلام ومسألة ايران ـ كونترا هما اللذان أجهزا على محاولته الأخيرة. هذا بينما كان جيش الساندنيستا ينتهي من الإجهاز على الكونترا عسكرياً. ويدفعها إلى هندوراس. مما أعطى الكونترا المبرر القوي لقبول مباحثات السلام، وتم أول لقاء مباشر

بين ممثلي الجبهتين في 23 مارس بالقرب من (سابويا) عند حدود كوستاريكا. وتم الاتفاق على وقف إطلاق النار مدة تسعين يوماً وهي المدة التي تستغرقها المباحثات. ولقد أدت هذه المباحثات إلى انتعاش الآمال ولكن البيت الأبيض سعى مرة أخرى إلى تخويف وتشجيع الكونترا للمبالغة في طلباتها لتشمل الإذعان لكل قرارات المحكمة العليا، بالإضافة لضرورة إعادة كتابة الدستور. ومن ثم فقد انهارت المباحثات.

وعلى الرغم من أن الكونترا قد انتهت عسكرياً واقتصرت ممارساتها على الخطف وزرع بعض الكمائن انتهاكاً لوقف اطلاق النار. إلا أن موقف الولايات المتحدة مكّنهم من استعادة قدرتهم على الحرب مما مهّد لهم القيام بدور سياسي هام تم احتواؤه في إطار جهود الولايات المتحدة للقضاء على دور الساندنيستا.

واستمر سعي الولايات المتحدة لإفساد الواقع الاقتصادي وخلق أزمة حادة لأن هذا الموقف سوف يؤدي بدوره إلى صدام بين حاملي الهراوات وقاذفي الحجارة. وكان رد فعل حكومة الساندنيستا هو استبعاد السفير الأمريكي ريتشارد ميلتون وقامت الولايات المتحدة بالتالي بطرد سفير نيكاراغوا في الولايات المتحدة ومندوب نيكاراغوا في منظمة الدول الأمريكية.

يؤكد المتحدث باسم الديمقراطيين في مجلس النواب الأمريكي - جيم رايت على اتهاماته للساندنيستا. بينما تؤكد الشهادات الواضحة والوثائق من جهاز المخابرات المركزية بأنهم قاموا بصنع أفعال محددة لاستفزاز شعب نيكاراغوا.

ولقد نجح التكتيك الذي سعت اليه المخابرات المركزية فعادت الساندنيستا أكثر صرامة وقامت مرة أخرى بحبس العديد من قادة المعارضة وإحكام الرقابة. وكرد فعل لهذا الموقف وافق الكونغرس على إعادة المساعدة للكونترا. فوافق على مساعدة بخمسة وثمانين مليون دولار تحت ما سمّي

مساعدة انسانية وهذه المساعدة مكّنت الكونترا من شراء كل شيء ما عدا السلاح والذخيرة لأنها كانت متوافرة لديهم.

وخسر شعب ودولة نيكاراغوا كثيراً. فالتكلفة المباشرة للحرب بما فيها الأضرار المادية والمحاصيل التي أُتلفت قدرت بحوالى 2 بليون دولار.

وبالإضافة إلى تكلفة الدفاع التي وصلت إلى 2 بليون أخرى، والنقص في الدخل نتيجة للخطر التجاري والائتماني الأمريكي قدر بحوالى بليون دولار.

وأسفر القتال عن مصرع 30 000 شخص، وعشرات الآلاف من الجرحى والمخطوفين، وقرابة 16 000 طفل فقدوا أباءهم. وفي شهر اكتوبر حين بدا أن البلاد لن تتعرض لما هو أسوأ، تعرضت البلاد لإعصار ويقدر عدد من لقي مصرعهم في هذا الإعصار الذي ضرب الساحل الاطلنطي بشكل خاص 1480 قتيلاً. فضلاً عن خسائر مادية تصل إلى حوالى 840 مليون دولار.

وبعد أن قامت الولايات المتحدة بإعادة المساعدة العسكرية للكونترا بعد أن كان الكونغرس قد قطعها في فبراير، تمكن عدة آلاف من جنود الكونترا ومؤيديها من العودة مرة أخرى إلى معسكراتهم في هندوراس، وذلك برغم الهزيمة الاستراتيجية التي تعرضت لها الكونترا. إلا أن المساعدة الامريكية التي تلقوها من الولايات المتحدة سمحت لهم بالبقاء كجيش ومكّنتهم كذلك من الاستمرار في هز استقرار نيكاراغوا. وحتى بعد رحيل ريغان فقد ظلت السياسة الأمريكية بشأن نيكاراغوا كما هي وهذا هو الشعار الذي أعلنه الرئيس بوش في يوم تنصيبه رئيساً للولايات المتحدة. واستمر البيت الأبيض في تأييد الكونترا. ولكن متاعب نيكاراغوا كانت تتركز في الجانب الاقتصادي إذ انخفض الدخل المتاح بنسبة 90% خلال عقد.

إن تدمير الاقتصاد كان يمثل قلب إستراتيجية ريغان الذي سعى بها لتقويض الدعم الجماهيري للساندنيستا، حتى تصبح أمثولة لأي دولة أخرى تحذو حذو

الثورة في نيكاراغوا. ورغم كل ما حدث فإنه خلال عقد من الثورة تعلم شعب نيكاراغوا قيمة المشاركة السياسية، وقيمة السعي لإحداث التغيير الاجتماعي. وربما لم يكن هذا هو ما أحدثته فقط. وربما لم يكن هذا هو التحوّل الوحيد الذي حاربت من أجله الساندنيستا. ولكن هذا هو الضمان الأساسي لإمكان معاودة النضال السياسي. لأن الفصل الأخير من ملحمة نيكاراغوا في سعيها نحو السيادة الوطنية والديمقراطية الاقتصادية لم يُكتب بعد..

وفي شهر يناير أعلن أورتيغا سلسلة من الإجراءات الصارمة لوقف حالة التضخم المتزايد. كانت هذه الاجراءات تشمل تسريح 35 000 من الموظفين المدنيين وأفراد الجيش. وسعى كذلك لتثبيت سعر العملة الوطنية إزاء الدولار الامريكي مما أدى إلى خفض قيمتها. وأدى هذا الموقف إلى زيادة أسعار السلع لتفوق الأجور. وكانت هذه الإجراءات الإصلاحية تسمح لنيكاراغوا بالحصول على قرض بضمان صندوق النقد الدولي لأن الولايات المتحدة أصرت على الاعتراض ورفض تقديم أي مساعدة مادية لنيكاراغوا.

وخلال عقد كامل تمكن البيت الامريكي من تجميد القروض القريبة فضلاً عن تجميد مساعدات التسليح والبترول والمعدات مما دفع الساندنيستا للاعتماد بشكل كامل على الدعم السوفيتي.

وكان للتقارب المفاجيء بين موسكو وواشنطن وانهيار حلف وارسو أثره السلبي على الساندنيستا وليس هذا بسبب قطع المعونة الاقتصادية والعسكرية ولكن لأن هذا التقارب يعني ببساطة عزل الثورة دبلوماسياً وسياسياً بشكل متزايد.

وبحلول موعد الانتخابات واجه الناخبون حقيقة أن الاتحاد السوفيتي لن يتدخل مرة أخرى لمنع الاقتصاد النيكاراغوي من الانهيار. وكان الطريق الوحيد لمواجهة الأزمة هو إنهاء الحرب. وفي فبراير التالي وافق رؤساء أمريكا

الوسطى على صياغة مشروع لنزع سلاح الكونترا على أن تقوم الساندنيستا بتقديم موعد الانتخابات وأن تقوم بدعوة مراقبين دوليين للإشراف على الانتخابات. ولكن إدارة بوش رفضت المشروع بل وحفزت الكونغرس للاستمرار في تقديم (المساعدات الانسانية) للكونترا وذلك حتى فبراير سنة 1990.

وبدأ المتمردون في التسلل مرة أخرى إلى نيكاراغوا وقاموا بنصب عدد من الكمائن منتهكين بذلك اتفاق وقف إطلاق النار. ومع أن جبهة الساندنيستا استمرت في تنفيذ اتفاق خطة السلام على نحو جدي.

وقامت بالإتفاق مع التحالف القوي للمعارضة بخلق الجو الملائم للانتخابات، فأطلقت سراح 1900 سجين وتخلت عن بعض إجراءات الطوارىء وحددت مهلة ليقوم الناخبون فيها بتسجيل أسمائهم في الدورات الانتخابية وهو السلوك الذي لاقى ترحيباً من كافة الدوائر والمراقبين.

وفي أول فبراير تمكن أورتيغا من إنهاء حالة وقف إطلاق النار وذلك بعد أن قامت الكونترا بقتل ثلاثة وعشرين شخصاً في عشرة أيام.

وخشي البعض أن تكون هذه مجرد مناورة لإلغاء الانتخابات. ولكن الحملة الانتخابية استمرت تحت إشراف دولي. بل وقامت الساندنيستا بضمان حرية الحركة والدعاية للأحزاب التي كانت في تقدير الساندنيستا تقوم بنوع من المقامرة. بينما الساندنيستا تعتمد على قوة تنظيمها ووضوح رؤيتها وقدرتها على التعامل مع الرأي العام الذي ما زال يحتفظ في ذاكرته بالنجاح الاجتماعي والاقتصادي الذي حققته الساندنيستا في أيامها الأولى.

بينما التحالف المعارض يشمل أربعة عشر حزباً من خليط عشوائي يمتد ما بين الحزب الشيوعي إلى المحافظين المتشددين والذي تم تحالفهم برعاية ودعم الولايات المتحدة الأمريكية. فهذا التحالف لا تربطه أية صيغة تنظيمية،

وتاريخ قيادته المحافظة ملطخ إلى الحد الذي لا يمكنهم من الفوز في الانتخابات.

وفي العاشر من ديسمبر قام مؤيدو جبهة المعارضة الوطنية بالتصادم مع اعضاء الساندنيستا وذلك أثناء الحملة الانتخابية وأسفر هذا الصدام الذي استمر أربع ساعات عن مصرع أحد الأشخاص طعناً بالسكين وإصابة أكثر من سبعين شخصاً. ويعد هذا أسوأ حادث خلال فترة الإعداد للانتخابات. وكان هناك اهتمام من كافة الدوائر بألا تؤثر هذه الصراعات على العملية الانتخابية وتعرضها للخطر.

وتحركت الساندنيستا ـ بعد هذا الحادث ـ للسيطرة على الموقف فكثفت التواجد الأمني وقامت بحظر شرب الخمر أثناء الحملات الانتخابية. وفي الوقت نفسه دعا التحالف المعارض والساندنيستا أنصارهم للبقاء خارج مناطق تجمع خصومهم، واستمرت الحملة الانتخابية دون أي أحداث عنف جديدة.

وفي ليل الأحد الموافق 25 فبراير أثارت نتائج الانتخابات دهشة الرأي العام. إذ نتيجة للإحساس العارم باليأس من نهاية الحرب، أو إنعاش الاقتصاد قام العديد من مؤيدي الساندنيستا بالإشتراك مع خصومهم في التصويت لصالح مرشحة تحالف المعارضة فيوليتا شامورا. وقليل جداً هم الذين تنبأوا بهذه النتائج. فلم يتنبأ بها لا رجال الساندنيستا أو المخابرات المركزية أو مراقبو الأمم المتحدة. وفي الحقيقة كان البيت الأبيض يسعى لطرح صيغة تحالف بين الساندنيستا وخصومها.

والغريب أن بعض قادة التحالف المعارض قد فوجئوا بنتائج هذه الانتخابات وفوز شامورا ـ أرملة (بيدرو شامورا) ـ الذي قاد حملة شرسة ضد سموزا خلقت منه بطلاً قومياً. واغتيل عام 1978. والمعروف أن واشنطن

قدمت دعماً كبيراً لمرشحة التحالف المعارض وقامت أكثر من مؤسسة أمريكية بدعم الحملة الانتخابية مادياً.

وعلى الرغم من فوز شامورا وتحالف المعارضة إلا أن الساندنيستا قد تمكنت من الحصول على 41% من الأصوات مما يجعلها أقوى حزب معارض في البلاد وظلت سيطرتها قائمة على الجيش، والبوليس، والقضاء، والوحدات التجارية الكبيرة. وهذا العدد من المقاعد في الجمعية التشريعية يجعل من الصعب إجراء أي تغييرات دستورية دون موافقتها. وأعلن أورتيغا احترام وتقدير جبهة الساندنيستا التقدمية لقرار الشعب بشأن نقل السلطة. وتعهدت الجبهة بأنها ستلتزم التزاماً كاملاً بحماية مكتسبات وإنجازات الثورة الرئيسية. وقبل تنصيب شامورا بشهرين استخدمت الساندنيستا الأغلبية الخاصة بها في المجلس التشريعي في تقنين هذه المكتسبات لتحقيق إمكان الحفاظ عليها وحمايتها على نحو أفضل. وألمح (أورتيغا) أن للساندنيستا دائماً (حكومة ظل). وانها ستحكم من القاعدة. والمعروف أن الكونترا قامت بحل نفسها رسمياً بعد شهرين من تولي شامورا السلطة، مع توفير إمكانية أن تعود مرة أخرى إلى سطح الحياة السياسية بوصفها قوة سياسية لها ثقلها. وفي الوقت نفسه بدأ الجناح اليميني في التحالف المعارض في توجيه اللوم إلى (شامورا) متهماً إياها بالتنسيق مع الساندنيستا. بل وعرض بعضهم صراحة ضرورة إنشاء جيش إنقاذ وطني ليقاوم نفوذ الساندنيستا.

بينما لم تتضح ملامح مستقبل نيكاراغوا بعد، فإن العلاقة بينها وبين الماضي واضحة ومعلنة وقوية. فثورة الساندنيستا ولدت بفعل القهر والظلم الاجتماعي الفادح. والساندنيستا سوف تحظى بتأييد قوي طالما ظلت هذه المظالم تشوّه وجه نيكاراغوا٧,

ثبت زمني لأهم الأحداث

1542: قام الغزاة الاسبان بهزيمة الهنود الحمر وأطلقوا اسم نيكاراغوا على الأراضي التي تم غزوها نسبة إلى إسم أحد زعماء الهنود.

1821: أعلنت أمريكا الوسطى استقلالها عن أسبانيا.

1855: قام مغامر امريكي يدعى (وليم والكر) بغزو نيكاراغوا وفرض نظام الرق وأعلن نفسه رئيساً لنيكاراغوا ثم انسحب بعد حكم استمر عامين.

1909: رفض حزب التحرير الحاكم بقيادة (جوزي سانتوس) تجديد حق استغلال أحد الممرات المائية للولايات المتحدة فقامت الولايات المتحدة بدعم التمرد الذي قام به حزب المحافظين.

1912: قامت قوات المارينز بغزو نيكاراغوا واستمر احتلال المارينز طوال الاثني عشر عاماً التالية.

1927: تمكن الزعيم سيزار سانديانو من تشكيل جيش من المزارعين المتمردين للقيام بأعمال حرب العصابات ضد القوات الأمريكية.

1933: إنسحبت قوات المارينز بعد فشلها في هزيمة سانديانو وقبل انسحابها شكّلت الحرس الوطني لنيكاراغوا بقيادة انستاسيوس سموزا.

1934: قام سانديانو بتوقيع معاهدة سلام مع الرئيس الجديد (باتستا) وبأمر صادر من سموزا تم اغتيال سانديانو في 21 فبراير.

1936: قام سموزا بالإطاحة بالرئيس باتستا وتولى الرئاسة.

1956: تمّ اغتيال سموزا ـ الأب ـ على يد الشاعر (ريجو برتر لوجيز) وتولى منصبه ابنه (لوبي سموزا) وتولى ابنه الثاني منصب قائد الحرس الوطني.

1961: قام كلّ من كارلوس فونسك وتوماس بورغ وسلفيو مايورغا بتأسيس جبهة الساندنيستا التقدمية وبعد عامين بدأت أول أعمال حرب العصابات ضد الديكتاتور.

1972: ضرب زلزال مدينة مانغوا وأدى إلى مصرع 000 15 شخص، واستخدم (سموزا) المساعدات العالمية التي تلقاها في زيادة ثروة عائلته ونشاطها الرأسمالي.

1974: قامت جبهة الساندنيستا بهجوم على الاحتفال الذي أقامه سموزا بمناسبة عيد الميلاد وأخذت عدداً من الرهائن واستجاب سموزا لطلبات الجبهة بإطلاق بعض السجناء كفدية لهؤلاء الرهائن.

1976: قتل مؤسس جبهة الساندنيستا في قتال شرس مع الحرس الوطني. وتم اعتقال توماس بورغ وإيداعه زنزانة منفردة.

1977: قادت حركة الساندنيستا الهجوم ضد الديكتاتور في معظم أرجاء القطر.

1978: تمّ اغتيال (بيدرو شامورا) الكاتب والصحافي وأحد قادة المعارضة وقادت الحملة حركة تمرد في مدن إقليم ماسايا وليون وعدة مدن أخرى استمرت عدة أيام.

1979: أبريل: قادت جبهة الساندنيستا (الهجوم الأخير).

يوليو: استقال سموزا وطار إلى ميامي وفي 19 يوليو تجمعت قوات الساندنيستا في قلب العاصمة. وأعلنت إنهاء الحرب ضد ديكتاتورية سموزا. وفي اليوم التالي احتفل 000 250 شخص بهذه المناسبة بالقرب من القصر الكبير.

1980: **مارس:** بدأت الحكومة الجديدة حملة ضخمة لمحو الأمية أدت إلى انخفاض معدل الأمية من 50% إلى 13%.

مايو: وافق الكونغرس الأمريكي على طلب إدارة الرئيس كارتر بمنح نيكاراغوا مساعدة مالية قدرها 75 مليون دولار.

1981: **يناير:** تم تنصيب رونالد ريغان رئيساً للولايات المتحدة.

مارس: قامت المخابرات الأمريكية بتشكيل عصابات الكونترا المسلحة من بقايا الحرس الوطني.

أبريل: قررت إدارة ريغان قطع المساعدة عن نيكاراغوا.

يوليو: تم إعلان قانون الاصلاح الزراعي والذي آلت بمؤداه الأراضي غير المستخدمة للمزارع الحكومية، أو التعاونيات أو للفلاحين المستقلين.

نوفمبر: صرفت إدارة ريغان بـ 20 مليون دولار للإطاحة بحكومة نيكاراغوا.

1982: **يناير:** زادت أنشطة الكونترا في منطقة الساحل الأطلنطي مما دفع الحكومة إلى إجلاء الجماعات الهندية إلى داخل البلاد، مما دفع أكثر من عشرة آلاف هندي للهرب إلى هندوراس.

مارس: قامت الكونترا بتدمير جسرين رئيسيين في الشمال مما دفع الحكومة إلى إعلان حالة الطوارىء.

نوفمبر: وافق الكونغرس الأمريكي على منح متمردي الكونترا 24 مليون دولار كمساعدة غير معلنة.

1983: **يناير:** تم تشكيل جماعة الكونتادورا ولقد ضمت (فنزويلا، كولومبيا، المكسيك وبنما) ليتباحثوا بشأن إقرار السلام في أمريكا الوسطى.

فبراير: قام أكثر من 5 000 من قوات الولايات المتحدة وهندوراس

بإجراء مناورة عسكرية كبيرة على بعد عشرة أميال من حدود نيكاراغوا وتم إقرارها في أغسطس العام نفسه.

مارس: قام يوحنا بولس الثاني بزيارة نيكاراغوا.

يونيو: أعلنت مصلحة الخزانة الأمريكية.. أن السياسة الأمريكية الرسمية هي وقف كل أشكال القروض إلى نيكاراغوا.

اكتوبر: قامت المخابرات الأمريكية بتدريب عدد من المخربين لمهاجمة أكبر موانيء نيكاراغوا وقاموا بتدمير بعض المنشآت البترولية الهامة.

1984: **مارس:** انتهاكاً للقانون الدولي قامت وكالة المخابرات المركزية بتلغيم موانيء نيكاراغوا.

سبتمبر: قبلت نيكاراغوا خطة مجموعة الكونتادورا للسلام وهي الخطة التي لاقت قبولاً من الولايات المتحدة ودول امريكا الوسطى.

نوفمبر: تم إجراء انتخابات ديمقراطية. وتم انتخاب أورتيغا رئيساً للجمهورية ورفض ريغان نتائج هذه الانتخابات.

ديسمبر: قام الكونغرس بتحرير مشروع دعم بولندا في مقابل دعم أنشطة الكونترا العسكرية واستمر مشروع أوليفر نورث في تلقي التأييد من البيت الأبيض.

1985: **فبراير:** قامت الساندنيستا بإعداد خطة للإستقرار الاقتصادي.

مايو: أعلن ريغان الحظر التجاري ضد نيكاراغوا وسمحت حكومة الساندنيستا للهنود (المسكتوز) بالعودة إلى موطنهم الأصلي.

يونيو: وافق الكونغرس الأمريكي على كمساعدة تصل إلى 75 مليون دولار مساعدة إنسانية للكونترا.

1986: **مايو:** قامت المجموعة الأساسية المسلحة للكونترا بالتمركز في

الحدود الجنوبية لنيكاراغوا.

يونيو: وافق الكونغرس الأمريكي على منح مائة مليون دولار مساعدة للكونترا تشمل مساعدات عسكرية وأغلقت الساندنيستا جريدة «لابرنسيه». الجريدة اليومية المعارضة وأغلقت محطة الإذاعة المعارضة أيضاً وقامت بطرد اثنين من القساوسة انتقدا الحكومة علانية. قامت محكمة العدل الدولية بإدانة الولايات المتحدة لانتهاك سيادة نيكاراغوا.

اكتوبر: تم أسر أحد أفراد طاقم طائرة أمريكية وأدلى بمعلومات هامة عن التعاون في مجال التسليح بين الكونترا وامريكا.

نوفمبر: تفجر فضيحة إيران ـ كونترا في واشنطن.

1987: **يناير:** قام الرئيس اورتيغا باعتماد الدستور الجديد.

اغسطس: قام كلّ من رؤساء كوستاريكا، السلفادور، غواتيمالا، هندوراس بتوقيع اتفاق إرياس للسلام وذلك رغبة من واشنطن.

سبتمبر: منحت نيكاراغوا اقليم ساحل الاطلنطي الحكم الذاتي.

من سبتمبر حتى ديسمبر: قامت نيكاراغوا بتنفيذ بنود اتفاق آرياس للسلام وإعادة فتح جريدة (لابرنسيه) ومحطة كاتوليكا وإعلان وقف إطلاق النار.

1988: **فبراير:** إجراءات الإصلاح الاقتصادي وتصويت الكونغرس ضد استمرار المساعدة للكونترا في أعقاب اتفاق أرياس للسلام.

مارس: لقاء بين ممثلي حكومة نيكاراغوا وممثلي الكونترا (في سابوا) والموافقة على استمرار وقف إطلاق النار.

انهيار المباحثات نتيجة لمغالاة الكونترا في طلباتها ورفض الولايات المتحدة لمضمون الاتفاقية.

يوليو: نيكاراغوا تبعد السفير الأمريكي ريتشارد ميلتون وسبعة من

أعضاء السفارة الأمريكية بسبب تدخلهم في الشؤون الداخلية لنيكاراغوا ومحاولتهم هز استقرارها.

سبتمبر: الكونغرس يوافق على منح الكونترا مساعدة قدرها 75 مليون دولار تحت مسمّى المساعدة الإنسانية.

اكتوبر: إعصار هوريكان جون يضرب نيكاراغوا ويسبب خسائر قدرها 840 مليون دولار وتزايد نسبة التضخم بنسبة 000 30%.

نوفمبر: جورج بوش: المسؤول عن جهاز المخابرات يتم انتخابه رئيساً للولايات المتحدة يعلن إستمرار سياسة التأييد للكونترا.

1989: **فبراير:** لقاء رؤساء أمريكا الوسطى والوصول إلى اتفاق يقضي بحل الكونترا.

نيكاراغوا تعلن أن عام 1990 عام اجراء الانتخابات وتحدد تفاصيل الإجراءات التي تضمن حرية الانتخابات.

مارس: الكونغرس يوافق على مساعدة قدرها 50 مليون دولار للإحتفاظ بنشاط الكونترا.

أغسطس: موافقة قادة أمريكا الوسطى على حل الكونترا تحت إشراف دولي تقوم به الأمم المتحدة، ومنظمة الدول الأمريكية.

سبتمبر: تحالف المعارضة ينتخب صاحب جريدة (لابرنسيه) مرشحة للرئاسة.

الكونغرس يقدم مساعدة مفتوحة وعلنية لتمويل الحملة لصالح المعارضة.

ديسمبر: الكونترا تتجاهل اتفاق الحل.

1990: **فبراير:** فوز فيوليتا شيمورا بانتخابات الرئاسة بنسبة 55% من إجمالي الأصوات.

يونيو: حل وحدات الكونترا العسكرية.

الفهرس



دار المـلـتـقى للنشـــر